

أبو الحسن علي الحسيني السزوي

فَحَاتُ الْإِيمَانِ

بَيْنَ صَنْعَاءَ وَعَمَانَ

بمجموع محاضرات أقيمت في صنعاء و عمان
في مناسبات مختلفة ، و احتفالات كبيرة

ملتمزم النشر و التوزيع
المجمع الاسلامي العلمي (ندوة العلماء)
لكهنؤ (الهند)

من مطبوعات المجمع الاسلامى العلمى

رقم - ١٨١

٥١٤٠٤

٢١٩٨٤

طبع فى

مطبعة ندوة العلماء - لكهنؤ (الهند)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بين يدي الكتاب

تقديم بقلم الأستاذ واضح رشيد الحسنى الندوى

الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله صلى الله عليه
و آله و صحبه و سلم .

أما بعد ! فان هذه المجموعة التى بين يدي القراء تشتمل على
أحاديث سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى ، التى ألقاها
فى الأردن و اليمن اللذين زارهما فى رجب و شعبان ١٤٠٤ هـ .

قام سماحته فى أواخر شهر رجب ١٤٠٤ هـ بزيارة المملكة
الأردنية الهاشمية بناء على دعوة و جهت إليه من مؤسسة آل البيت
لحضور مؤتمرها السنوى الثالث لبحوث الحضارة الاسلامية الذى
إنعقد بين ٢٥ - ٢٩ أبريل ١٩٨٤م فى عمان .

و قد كانت هذه الزيارة فرصة للقاء شخصيات مرموقة في العالم الاسلامى فى مجالات العلم و التربية الدينية و الفكر و السياسة خلال جلسات المؤتمر و خارجها و لتبادل وجهات النظر مع عدد من أقطاب الفكر و السياسة و الدعوة ، و خاصة لأن جلسات المؤتمر قد عقدت تحت رعاية شخصية لصاحب السمو الملكي الأمير حسن بن طلال ولى عهد المملكة الأردنية الهاشمية و الذى أولى المؤتمر عناية الخاصة ، و اشترك شخصياً فى مداولاته و مناقشاته ، و منح أعضاء المؤتمر فرصة لتبادل الآراء و بحث مسائل تخص بمواضيع مختلفة تتصل بالحضارة الاسلامية و القدس الشريف ، فكان المؤتمر ملتقى إسلامياً يضم مدارس الفكر و العمل المختلفة النشيطة فى معظم أنحاء العالم الاسلامى و فرصة للتعرف على مسار العمل و طبيعة التحديات و المشاكل فى الوطن الاسلامى .

و برزت فى مناقشات المؤتمر مشاكل حاسمة تعانى منها الأمة الاسلامية و جرت مناقشات لها ، أعرب فيها العلماء و الباحثون عن وجهات نظرهم من جوانب مختلفة ، كما برزت مشكلة القدس التى خصص لها يوم كامل للبحث و المناقشة فى ٢٧ / رجب ، يوم الاسراء والمعراج ، و عرض صاحب السمو الملكي الأمير حسن بن طلال بنفسه المسألة بجوانبها المختلفة، وشرح خلفياتها والتحديات

الناشئة من الاحتلال من استمرار العدوان و عمليات الاستيطان
في الاراضى المقدسة و قدم إحصائيات دقيقة عن المسألة بمساعدة
خرايط أعدت خصيصاً لهذا الغرض .

و لموقع الأردن الخاص و قربه من القدس الشريف و تحمل
الشعب الأردنى مسؤولية خاصة ازاء القدس الشريف ، و لانعقاد
المؤتمر فى الأيام التى حدث فيها ذلك الحدث التاريخى العظيم الذى
كان فيه اتصال الأرض بالسماة عن طريق الاسراء و المعراج ،
و تحمل هذه الأمة الاسلامية إمامة الأمم عن طريق إمامة
سيد المرسلين محمد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم للانبياء
و الرسل فى ذلك اليوم التاريخى الحاسم ، و للوضع الذى تعيش فيه
هذه الأمة التى رشحت لقيادة الأمم ، و تورطها و ارتباكها فى
مشاكل و تحديات تهدد وجودها اليوم ، ثارت الشجون ، وفاضت
طبيعة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى مستلهماً من هذه العناصر
الفياضة و الواقع المؤلم المرير ، فتحدث فى المؤتمر و فى الاجتماعات
الأخرى التى عقدت بهذه المناسبة فى الزرقاء و أربد و عمان بكلمات
كانت حديث القلب الجريح ، تثير الهمم و تحمى القلوب من غفوتها
فحركت هذه الكلمات أوتار القلوب ، لأنها كانت تفيض من قلب
اجتمع فيه شجى المكان و الزمان و الاعتزاز بالماضى المجيد

و التأم بالواقع المرير .

و كان لكلمة الشيخ في قاعة البتراء بفندق ايجنسى بالاس أثناء مناقشة مشكلة القدس في ٢٧ من رجب ١٤٠٤ هـ دوى كبير ، فكم من عيون دمعت ، وقلوب غمرها الشجى عند ما قال سماحته : « إن المسألة ليست مسألة الاحصائيات ، فان الاحصائيات تتغير ، إن المسألة الحقيقية هي وجود الرجل المختار ، الرجل الذى يملك عزيمه و إيماناً ، و اعتزازاً بالدين ، و إرادة لتغيير الوضع مهما كان مدعماً بالحقائق و الاحصائيات ، رجل كصلاح الدين الأيوبي » .

و كاد أن يصبح ذلك موضوع كلماته في سائر المناسبات في لقاءاته الخاصة مع المسؤولين ، و في كلماته في الاجتماعات العامة و الندوات ، و قد عد سماحة الشيخ الندوى السباق إلى تقليد المدينة الغربية أكبر خطر في سبيل بناء تلك الشخصية المرتقبة ، وخاصة في الأردن ، لأنه بلد مرابط ، فان من حق طبيعة الظروف أن يكون هذا البلد مرابطاً في الواقع ، فأكد ضرورة العودة إلى حالة الرباط الدائم في وجه الخطر الداهم و إعداد النفوس ، و أندر بأخطار حياة البطر و الترف و التمتع التي تكتسح العالم اليوم .

تحدث سماحة الشيخ الندوى في قاعات المؤتمر و في المساجد الكبرى بعمان ، و في جامع الزرقاء الكبير حيث كان استقبال الشباب

لكلته و تهاقهم على لقائه منظرأً خلاّباً يدل على الحب الغامر في
شباب الزرقاء و حماسهم الديني ، و على أن كلمة الحق لها أكبر
أثر في القلوب كأنهم وجدوا ضالتهم المنشودة .

و في جامعة اليرموك بأربد تحدث سماحته أمام حشد كبير
في القاعة الرياضية استلهم في كلمته من ذلك الموقع الذي له دور
تاريخي ، فاستخرج معاني كلمته من معركة اليرموك الحاسمة ، وبحث
العناصر الحقيقية التي غلب بها المسلمون رغم قلة عددهم و ضعفهم ،
و ضخامة عدد العدو و تحصنه الشديد ، فتغيرت هنا الاحصائيات ،
و تحققت النصر للمسلمين ضد الحفائق و الاحصائيات العديدة .

استغرقت زيارة الشيخ الندوي للأردن حوالي ٨ أيام ،
و لكنها كانت حافلة بالزيارات و اللقاءات مع العلماء و الدعاة و مع
الرسميين ، يبلغ فيها رسالته و ينقل حديث قلبه ، و كانت الكلمة
الأخيرة في كلية العلوم العربية لعمان غرة شعبان (١٤٠٤هـ) ، و كانت
هذه الكلمة بعد زيارة كهف أهل الكهف على جبل الرقيم فتجددت
في الذهن قصة « قبية آمنوا بربههم فزدناهم هدى » ، فكان حديثه
في كلية العلوم العربية عن المعركة بين الايمان و المادية ، و كيف
واجه المسلمون الحضارات بايمانهم ، و سيقراً للقراء هذه الأحاديث
القلبية في هذه المجموعة ، وهي تدور حول رسالة الاسراء و المعراج

و موقف المسلمين إزاء الحضارة و هي أحاديث يصح أن توصف
بفيض ذكرى الاسراء و المعراج .

أما الجزء الثاني من هذه المجموعة فهو من نفحات اليمن وهي
أحاديث ألقاها سماحته في اليمن الذي زاره بناء على دعوة اتحاد الطلاب
والهيئة العليا للجامع العلمية ، و مركز التوجيه والارشاد باليمن .

واليمن له أهمية وقيمة خاصة لدى صاحب هذه الأحاديث :

أولاً : لقول رسول الله ﷺ لدى وصول الوفد اليمني :

« جاكم أهل اليمن ، هم أرق أفتدة و ألين قلوباً ، الإيمان يمان
و الحكمة يمانية » .

ثانياً : لأن اليمن هو الوطن الثاني له ، فان نسبه العلمي في

الأدب العربي والحديث الشريف يتصل بعلماء اليمن الذين يدين لهم
في تربته و ثقافته و عريته ، و قد تأخرت زيارة اليمن لأسباب
لا يعلمها إلا الله رغم هذه الصلة وهذا الود و الحنان ، ورغم
هذه الدعوات المتكررة من المراكز العلمية و الدعوية في اليمن ،
و قد تسلم سماحته دعوة خاصة في عام ١٩٧٦ م ، و تمت إجراءات
السفر لكنها أرجئت لأسباب طارئة ، فبذلك الوقت كانت زيارة
اليمن قرصاً و تأخر تأدية واجب الشكر .

و جاءت زيارة اليمن خلال العودة من الأردن على إصرار

الاخوان اليمانيين فمن بلد الاسراء والممرج وبلاد اليرموك و موتة
إلى البلاد التي شهد النبي ﷺ لأهلها برقة القلوب، ونسب الايمان
إليهم، و البلاد التي كان الشوق إلى زيارتها كالشوق إلى الوطن،
و قديماً قال الشاعر :

لابد من صنعاء وإن طال السفر

و في اليمن أكرم الزائر اكرام العائد إلى الوطن، كان
البلد كله كان في شوق إلى القادم الذي كان رغم بعد الدار معروفاً
مألوماً بمؤلفاته التي انتشرت في اليمن، وأدرجت في مناهج الدراسة،
فكان الأطفال والشباب يعرفون هذه الشخصية، فلما أفصح الشيخ
الندوى عن صلة قرابته باليمن وشوقه إلى زيارته الذي كان يضمه
في قلبه وولائه لآساته اليمانيين، وأثار في اليمانيين غيرتهم الدينية
وارتباطهم بالايمان لشهادة النبي ﷺ : الايمان يمان، فكأنه كسب
ود أهل اليمن و سخر قلوبهم .

كان النزول بفندق دار الحمد السياحي، و هو أحد قصور
الأمراء السابقين، وقد أختير ذلك المكان لقربه من المراكز والدور
العلية و التربوية و الرسمية، و لتكون الصلة مع مختلف طبقات
الشعب ميسرة، وبدأت الزيارات وفي مقدمتها زيارة العلماء والدعاة
من أهل اليمن للتعرف على ظروف الدعوة وطبيعة العمل للتريسة

الاسلامية ونوع التعاون مع الجهات المسؤولة لها ، و قد أبدى أحد العلماء الدعوة حكمته اليمانية وفقهه اليماني بقوله : إن أحسن طريق للدعوة في رأيه هو التركيز على وصول الايمان إلى الحكام وتبنيهم لقضية الاسلام ، بدل التركيز على وصول جماعة مؤمنة إلى كراسي الحكم ، ولعل هذا هو المنهج اليماني ، و بهذا التعبير الرائع اكتشف إنسجام عجيب بين المنهج اليماني ومنهج علماء الهند على طول طريق الدعوة في تاريخ الهند الطويل ، و في مقدمتهم الامام أحمد السرهندي الذي غير الوضع بهذا المنهج السليم ، و أحدث إنقلابا سليما طوعيا ، و كانت تجربته تجربة ناجحة ، و في تاريخ الدعوة الاسلامية في الهند عدة أمثلة لهذا المجهود في حياة الامام ولي الله الدهلوي و أسرته العلية ، فاختار علماء الهند منهج النصح للحكام وتوجيههم إلى طريق الايمان وعدم منافستهم ، فحدث في تاريخ الهند ذلك اللقاء القريب بين رجال الدعوة و التربية و بين رجال السياسة و السلطة .

أما تجربة إيصال المؤمنين إلى الحكم فهي مليئة بالأخطار والمعاكسات ، و قد جرب هذا الطريق في كثير من بلدان العالم الاسلامي ، ولكنه أصيب بنكسات وأن بنتائج معكوسة .

اختار صاحب الأحاديث اليمانية في حديثه ولقائمه ذلك المنهج

الذى كان يلائم طبيعته ، و تربيته الدينية ، و أثار في الشعب الهنـدي المسلم غيرته الدينية و أعاد إلى ذاكرته ارتباطه بالإيمان ، و استعاد خدمات الأنصار من مؤازرة الدين و نصرته ، و ما تم في أرض الهمين من خدمة للحديث الشريف و اللغة العربية و ما تدين له الهند في الدعوة و العلم ، و خاطب العلماء و قادة الشعب و حكامه و رجال الجيش في الظيران و المدرعات ، و أقام اتصالات شخصية برجال الحكم و التوجيه و التنفيذ و التربية ، و كان تركيزه على هذه النقطة ، الإيمان بيمان ، و الحكمة بيمانية ، فليكن الهمين إيماناً .

كانت أحاديث الشيخ الندوى في صنعاء في كلية الطيران ، و في جامعة صنعاء التي أكتظت قاعاتها الفسيحة بالمستمعين ، و اقترش المستمعون الذين لم يجدوا مكاناً في القاعة ساحات القاعة و ملحقاتها ، و في جامع مشهد الكبير و في لواء المدرعات ، و في تمر تحدث في جامع المظفر الكبير ، و في الحديدية في معهد النور ، و في جميع كلماته استعاد دور الهمين الذي مثله في خدمة لاسلام علياً و فكراً و إيماناً و تصديقاً ، و الذي استعاد به الهمين مجده و تاريخه بعد أن اندثرت حضارته و خضع للحكم الاجنبي الفاشم .

و قوبلت كلمات الشيخ الندوى في سائر الاوساط كأنها كانت في الضمير فوجدت التعبير ، و قد أشار سماحته في كلمته التي ألقاها

في جامعة صنعاء أن في اليمن شلالا لا يستغل ، فاستشرف الناس رؤوسهم متسائلين فقال ذلك هو شلال الايمان ، أن شلالات صغيرة تولد الكهرباء وتحرك عجلات المصانع وتكسب للبلاد ثروة ، ففي كندا شلال نياجرا تولد منه الطاقة التي تحرك الحياة في كندا ، أما شلال الايمان فانه يحى القلوب ويحرك الأمم ، ويقوم به اتصال الأرض بالسماء ، أليس من الظلم أن يهمل هذا المصدر الكبير لتوليد الطاقة ، الطاقة التي تغير مصير الانسان و تحول مجرى التاريخ .

و كان للشلال دوى وصدى في الأوساط العلوية و السياسية و الشعبية ، فكأن هذا التعبير أخذ مكانه في القلوب ، فكأنه كان في الضمير فوجد التعبير .

و قد اعتمد صاحب هذه المحاضرات - حفظه الله - في سرد النصوص و الأحاديث النبوية و تفسير الآيات القرآنية ، على ذاكرته في هذه المحاضرات التي كان يرتجلها ، فلما نقلت هذه المحاضرات من الأشرطة و تصفحها سماحته ، راجع المصادر و نقلها بنصوصها التي وردت ، و ضم إليها بعض الأحاديث المروية عن النبي ﷺ و الحكايات التي وردت في كتب الحديث و السيرة النبوية ، و أقوال كبار المفسرين في تفسير الآيات ، و فصل ما أجزل و شرح بعض ما أبهم ، إتماماً للفائدة و زيادة في قيمة هذه

المحاضرات ، و ترسيخ معانيها و مراميها في النفوس .
و كان للكاتب شرف مرافقة سماحة الشيخ الندوي في هذه
الرحلة التاريخية ، فكل ما تحدث به عن المعاني والانطباعات والتحركات
إنما هو حديث مشارك وشاهد ، وخبر عيان لاخبر بيان ، والشاهد
يرى ما لا يراه الغائب ، ولا يليق بي أن أطيل الكلام ، و أن
أقف في وجه الشلال الايماني ، فاليكم أيها القراء الأجلة النفحات
الايمانية المنبعثة من شلال الايمان في صنعاء وعمان .

واضح رشيد الندي

أستاذ جامعة دارالعلوم ندوة العلماء لكتنؤ (الهند)

و رئيس تحرير « صحيفة الرائد »

١١ / من رمضان ١٤٠٤ هـ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سؤال الإيمان والإخلاص وكيف يستفاد منه؟

[محاضرة أقيمت بجامعة صنعاء في ١٤/ من
شعبان ١٤٠٤ هـ (١٥ / مايو ١٩٨٤ م) أمام جمع
حاشد من الطلبة و المثقفين من أهل العاصمة لليمن
الشمالي ، و قد غصت القاعة بالحاضرين و امتلأت
الساحة الخارجية بالمستمعين] .

بعد الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله :
سادق و إخواني ! لقد تقدمت الصناعة و المخترعات تقدماً
كبيراً ، و اخترعت الأشياء التي لم تكن تخطر بالبال ، و لكن
لم تخترع إلى الآن آلة تكشف عن مدى السرور ، و موجة الفرح
التي تغمر القلب ، و ليس من الممكن أن يضع الانسان قلبه أمام
الاخوة حتى يعرفوا ما يجيش في القلب ، و لكن بالله الثقة ثم بجمبعكم
و بمواطفتكم الاسلامية في أن تقيسوا و تعللوا مدى سروري لرؤية

هذه المجموعة الطيبة من الشباب المسلم فهم الجيل المرتقب و أمل
الاسلام و المسلمين في هذه البلاد .

إخواني ! كلكم تعرفون الشلال الذي ينبع من الأرض ،
يتدفق بقوة ، وينزل بقوة على الأرض ، و هنالك شلالات تتدفق
وتنزل منذ آلاف من السنين ولكنها لم تستخدم في صالح الانسانية
و صالح المدنية ، و منها ما هو مجهول و منها ما هو مهمل ، أنى
زرت « كندا » ، و زرت « تورنتو » مدينة كندا التي يقع
فيها (Niagara Fall) يعني « شلال نياجرة » ، فرأيت العجب ،
رأيت هذا الشلال الذي يعتبر من عجائب العالم السبعة ، ينزل من
ارتفاع كبير (١) لا يقاس حتى يراه الانسان ، وهو ينزل على
الأرض منذ آلاف من السنين بقوة عجيبة ، و لكن البلاد التي
وضع الله فيها هذا الشلال قد وفقت لتستخدم هذا الشلال الطبيعي
في صالح الانسانية و في صالح المدنية ، فتأخذ منه القوة
الكهربائية (٢) ، التي تستطيع أن تنير هذه البلاد وتملاها حرارة

(١) ينزل هذا الشلال من ارتفاع ١٠٨ متر ، و ارتفاع

الماء ٥٤ متر .

(٢) و يبيأ منه خمسة ملايين من القدرة الحصانية (Horse

Power) .

ودققاً ، وهناك طاقات جبارة وثروات هائلة لم ينتفع بها الانسان
بعد في كثير من البلدان ، فهي ضائعة مهجورة مظلومة .

ولكنى أريد أن أحدثكم عن شلال لا يقاس به هذا الشلال
الكنيدى في القوة والتأثير ، والفائدة التي تعود على الانسانية ، ذلك
هو شلال الايمان والاخلاص والحماس ، الذي أكرم الله به الأمة
الاسلامية بصفة عامة ، و أكرم به بلادكم بصفة خاصة ، وشهد
بهذا الاختصاص لسان النبوة الذي كان مجرى الوحي ، لقد شهد
بهذا الشلال الايماني الذي أكرم الله به القطر اليماني محمد بن عبد الله
بن عبد المطلب بن هاشم القرشي النبي العربي ﷺ بقوله لما جاء ،
وفد من اليمن : « أتاكم أهل اليمن أرق أفئدة ، وألين قلوباً ،
الايمان يمان والحكمة يمانية (١) » .

إن الدول الكبيرة و البلاد الراقية المتحضرة التي تقود
الآن ركب الانسانية بمجدارة أو من غير جدارة ، و بحق أو من
غير حق ، والتي تزعمت الحضارة ومصائر الأجيال البشرية ، عندها

(١) رواه البخارى في صحيحه ، كتاب المغازى باب « قدوم

الاشعريين و أهل اليمن ، و في رواية أخرى للبخارى

« و الفقه يمان و الحكمة يمانية (الجامع الصحيح

للبخارى ج / ٢) .

كل شئ ، ولكنها لا تملك هذا الشلال الايماني ، أنها تجردت - على مدى التاريخ - من الاخلاص لله تبارك و تعالى ، ومن التمسك على المصالح الفردية و الجماعية والحزبية ، و السياسية المحدودة ، أنها وإن بلغت قمة الرقي والحضارة ، و تملك الشئ الكثير من أسباب الرفاهية و مظاهر المدنية ، و الطاقات العلية و الفكرية ، و لكنها لا تملك هذا التدفق الايماني و عمقه و أصله التي يملكها الشعب الاسلامي المؤمن ، و لا تملك سلامة القلوب و صفاء الصدور و الحب البريء البعيد عن الأغراض و الفوائد ، والشوق إلى الجنة و الحنين إلى الشهادة ، و الايمان و الاحتساب ، و رجاء الثواب على الأعمال الحسنة ، إن المسكرين الغربي و الشرقي يفرقان في أشياء كثيرة ، و لكنها يلتقيان على أن زعماءهما و أقطابهما لا يملكون السيطرة على القلوب و الحب و الاحترام في النفوس ، و الولاء الصادق ، البعيد عن الاعتبار السياسية و المصالح الفردية و الجماعية ، و الدوافع الدينية النابعة من أعماق القلب لفعل الخير .

أنا تكلمت على غلوة سهم من البيت الأبيض (White House) في واشنطن في أمريكا و كنت أتمنى أن يصل صوتي إلى البيت الأبيض و إلى صاحبه قلت :

« أيها السادة ! إن لكم مساهمة فعالة كبيرة القيمة للنهوض

بالشعوب الشرقية ، ولكنى أقول لكم ان هذه الشعوب التى تنفقون عليها ملايين الملايين لا تحبكم ، أنها لا تمنى لكم السعادة ، أنها تمنى لكم كل عثرة وتربص بكم الدوائر وتشمت بكل ما يصيبكم من أحداث وتشقى نفسها بذلك ، أنها تنعم فى ظل مساعداتكم ، ولكنها لا تحفظ لكم هذه اليد ولا تعترف بالجليل ، لأنها تصدر عن غير إخلاص ، إنها مساومات سياسية و اقتصادية و تجارية ، فهذه الشعوب تأكل من رفقكم و تتطفل على مائدتكم ، ولكنها لا تضمر لكم الاخلاص والحب ، لماذا ؟ لأن عطاءكم الحضارى وما تغفرون به هذه الشعوب من روافد ومن مساعدات لا تصدر عن إخلاص ، لا تصدر عن أعماق القلب ، أنها كلها مساومات و مبادلات تجارية .

إن الايمان و الحب العميق الذى يضمه الشعب المسلم للقادة المؤمنين الصالحين لا يوجد له مثل أبداً ، لا فى المعسكر الغربى ولا فى المعسكر الشرقى ، فهنا نفاق و سياسة فقط ، إن هذه البلاد فقيرة مفلسة فى هذا الايمان مفلسة فى هذا الحب ، مفلسة فى هذا الحماس ، إن هنالك أنشطة الدعايات و الصحافة و وسائل الإعلام و الجامعات و المؤسسات ، كل ذلك قد ربط هذه الشعوب برباط صناعى لا ثقة به ، إذا استطاعت أن تكسر هذه الأغلال

فانها في اول فرصة تكسرها . وتقرأون أخبار الثورات والمؤامرات
والمحاولات لقلب الأوضاع كل يوم ، ولكن رباط الايمان الذى
كان يربط الأمة الاسلامية برسولها الاعظم ﷺ ، ثم بالخلفاء
الراشدين ، ثم بالقادة المصلحين ، ثم بالعلماء الربانيين ، ثم بالزعماء
المخلصين ، هذا الرباط القوى الأمين الوفى العميق المحكم لا يوجد له
نظير ، وصدق الله العظيم : « هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين
و ألف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين
قلوبهم و لكن الله ألفت بينهم لأنه عزيز حكيم (١) » .

و لكنى أقول لكم و الحزن يملؤ قلبى ، إن هذا الشلال
الايمانى الذى أكرم الله به أرض الجزيرة ، أكرم الله به أرض
الصحابة رضى الله تعالى عنهم ، أرض أنصار الرسول ﷺ ، وأرض
دعاة الاسلام و حملة مشعله فى العالم ، أن هذا الشلال من الايمان
و الاحتساب ، و رجاء الأجر و الثواب ، و الشوق إلى الجنة
و الحنين إلى الشهادة و الحب لله و لرسوله و للمؤمنين ، لم يستخدم
بعد و لم يقتبس منه هذا التيار المضئ المنير ، القوى المقيد ، هذا
التيار كان يستطيع أن يملأ العالم كله نوراً و بهاءً ، و يحل كل
مشكلة ، و يتغلب على كل معضلة . و يربط القلوب بعضها ببعض

(١) الأنفال - ٦٣ .

و الشعوب بعضها ببعض ، و المجتمعات بعضها ببعض ، و يزيل كل مشاكل الانسانية و لكنه شلال مظلوم ، أنه ضائع من قرون .

إن من المؤسف و المحزن أن كثيراً من قادتنا إلى الآن ما عرفوا مدى قوة هذا الايمان ، مدى قوة هذا الرباط ، مدى قوة العقيدة الاسلامية ، لم يعرفوا إلى الآن هذه القوة الكامنة في النفوس التي وضعها الله عن طريق الرسالات السماوية ، و النبوات الصادقة و جهود المخلصين في قلوب المؤمنين إلى الآن ، ما عرفوا قيمة هذه الطاقة البشرية الهائلة أن الطاقة النووية لا تساوي الطاقة التي يحملها قلب المؤمن ، هذه الطاقة التي ولدت عالماً جديداً ، و أرغم التاريخ على أن ينحوا نحواً جديداً ، أنها جعلت الأشياء التي كان لا يتخيلها الانسان حقائق واقعية .

مع الأسف الشديد أن قادة الفكر و الرأي في كثير من البلاد الاسلامية لم يكتشفوا بعد هذه الطاقة ، بل إنهم مع الأسف الشديد يرون في هذه الطاقة أكبر خطر عليهم ، فهم في حرب معها ، و إنهم يعتبرون هذه البقايا الايمانية التي لا تزال تحملها الأمة الاسلامية رواسب تاريخية ، و قد يسمونها أنقاضاً تاريخية و خرائب يجب نقلها و إزالتها ، فأكبر مجهودهم ، و أكبر ذكائهم بل و عبقريتهم تصرف إلى نقل هذه « الأنقاض » و إلى الآن لم ينجحوا في ذلك

بل بامت مساعيمهم بالفشل و الاخفاق ، لأنهم يعارضون طبيعة
الامة ، ويغالطون نفوسهم في الحقائق ، و يريدون أن يقضوا على
مجهودات قرون ، أنهم في جهاد في غير عدو ، لأنهم يرون في
الايان الذى لا يزال الشعب المسلم في بلادهم يحمله و يتصف به ،
الخطر الداهم و العدو المنافس لهم ، مأساة لا أقول مأساة لإيمانية
فقط ، بل هى مأساة عالمية إنسانية أن لا يستفاد بهذه الطاقة .

والله إن شعوبنا المسلمة الوادعة السليمة التى تؤمن بالله ورسوله
و تؤمن بأن الآخرة خير من الأولى ، و التى تؤمن بأن العاقبة
للمتقين ، و التى تؤمن بأن النصر للمؤمنين ، و التى تؤمن بأن هذه
الدنيا فانية عاجلة ، و التى لا تزال ترى في ما وعد الله به عباده
المؤمنين من نعماء الجنة وفضل الشهادة في سبيله ما لا تراه الشعوب
الراقية في لذات هذه الدنيا ، و تترنح أعطافها و تخفق قلوبها بما يتلى
عليها من القرآن ، و يذكر لها من مبشرات الرسول و مواعيده ،
فتنسى نفسها و تهب حياتها لله و لرسوله ، إن هذه الشعوب تتصف
بصفات من الرجولة و البطولة و المروءة و الفضيلة و سمو الخلق
تتجرد عنها غالب الشعوب المتحضرة الآن ، إذا رزقت هذه
الشعوب قائداً مخلصاً و فياً يعرف قيمة هذه الطاقة ، قيمة هذا
الايان الذى لا تعطيه إلا النبوات ، لا تعطيه إلا التربة الربانية

لا يعطيه إلا الاخلاص ، إن هذا الايمان لو كان عشر معشاره
 عند الأمم الأوربية لجعلت العالم غير العالم ، و لكنها دائماً تنتقل
 من مشكلة إلى مشكلة ، إنها تنقش الشوكة بالشوكة و ضلعها معها
 (كما يقول سيدنا علي بن أبي طالب) ، فتتكسر هذه الشوكة التي
 استخدمت لازالة هذه الشوكة ، و تجتمع شوكة بشوكة ، هذه قصة
 الحضارة الغربية لاتحل مشكلة إلا و تواجه عشر مشكلات ، لأنها
 تحرم ذلك الايمان و تلك الثقة التي يربط قلب الانسان بالانسان ،
 لأنني لا أعرف عالماً يعلم النفس ، و بفلسفة الأخلاق تصور ما قاله
 القرآن ، قال : « فلولاً إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم
 خيراً و قالوا هذا إفك مبين (١) » ، هذا غاية ما يتصوره
 الانسان ، يعني « المسلم مرآة المسلم » فإذا سمع مسلم عن أخيه المسلم
 شيئاً يستعرض نفسه أولاً و يقول أنا لا أستطيع أن أعمله ، أنا
 أربأ بنفسى و بإيماني عن هذه السفالة فكيف يصدر ذلك عن أخى
 المسلم ؟ و يبادر و يقول أنا لا أصدق أن أخى المسلم فعل هذا ،
 أى مجتمع فى التاريخ قام على هذا التصور الرفيع السامى لأعضاء
 المجتمع الانسانى ؟ .

إن قادة الغرب و الشرق يريدون أن يملؤوا فراغ الاخلاص

(١) النور - ١٢ .

بالقوة العسكرية و بالخبرات و بالجاسوسية ، فلا يثق إنسان بإنسان
 فى روسيا ، ولا يثق أخ بأخ ، ولا زوج بزوجه ، و لا زوجة
 بزوج ، قد فقد المجتمع الشيوعى الثقة بالأفراد ، الثقة بأقرب الناس
 إليهم حتى الجدران لا يأمنونها ، لعل لها آذاناً أو سماعات ، ولعل
 هنالك مسجلات ، لا يستطيع الإنسان أن يتكلم فى زاوية من
 زوايا بيته بسره مثلاً أو ينفس عن ضميره الكئيب ، فن القصص
 الطريفة أن كلباً جاء من مثل هذه النواحي فقدم له الكلاب بنو جنسه
 ما عندهم من أنواع الطعام ، فاذا هو غير مقبل على أكل هذا يمافه
 و يهد فيه ، فقالوا لماذا لا تأكل و أنت ضيفنا ؟ ، قال ما لى
 حاجة فى طعامكم إني أريد أن أنبح ، قد كنت فى بلد لا أستطيع
 أن أنبح فيه ، فأنا جئت هنا لأنبح ، و هو شئ فطرى عندى ،
 فالطعام لا شأن لى به ، و لكنى أريد أن أسلى ضميرى و أرضى
 طبيعى .

يا إخوتانى ! اعرفوا نفوسكم قبل أن تعرفوا نفوس غيركم ،
 اعرفوا ما أكرمكم الله به من ثروات إيمانية ، و من خصائص كريمة
 إيمانية ، إذا عرفتم نفوسكم فقد عثرتهم على الكنز الدفين ، و على
 شلال قوى ، أقوى شلال فى العالم ، هذا الشلال الإيمانى الذى
 تستطيعون ، و يستطيع الذين منحهم الله فرص الاستفادة من هذه

البلاد الغنية ، يستطيعون أن يقتبسوا منه التيار الكهربائي الذى
يستطيع أن ينير ما حولكم من بلاد الله وينير العالم كله ، لقد كان
سلفكم هم الذين أناروا العالم لأنهم قد اقتبسوا و أخذوا هذا التيار
الكهربائي من صدورهم المليئة بالايمان وحملوه إلى أقصى الشرق ، إلى
الهند ، جامنا علماء ربانيون منكم فقهاء ومحدثون ومربون و أنقذوا
الشعب المسلم الهندي من مستنقع الوثنية ، من عبادة البقر والشجر
و النمر ، هؤلاء كانوا آباءكم الغر الميامين و نحن لا نزال متطفلين
على مائدتكم ، و لكن اعرفوا نفوسكم أيها الاخوان وليعرف قادة
البلاد الاسلامية فى باكستان و فى بنغلاديش و فى البلاد العربية ،
بصفة خاصة، ليعرف قادة هذه البلاد ماذا يملكونه فى هذه الشعوب
ماذا يملكونه فى بلادهم ، هم دائماً ينظرون إلى الخارج ، ليقبسوا ثمرات
الحضارة الغربية ، و العلوم التطبيقية الميكانيكية، آلات يستوردونها
من الغرب ، ولكن هذه الآلات لا تغير مصير الانسانية ، ولكن
الايمان الذى تحملونه فى قلوبكم يستطيع أن يغير مسيرة الانسانية ، ومن
المحزن أن تنسلخ قرون بعد قرون وأن تأتى أجيال بعد أجيال وهذا
الشلال الايماني لا يستخدم فى صالح البشرية وفى صالح هذه البلاد، إن
العالم فى حاجة اليوم إلى هؤلاء المؤمنين الذين يتدفق الايمان من
صدورهم و يفيض على لسانهم ، نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم،

هؤلاء المؤمنين الذين يتجردون عن الأنانيات ، يتجردون عن القوميات ، يتجردون عن الوطنيات يتجردون عن الشهوات ويخدمون الانسانية و ينقدونها من جديد .

إخواني ! إن لسان النبوة لما وصفكم بالايمن والفقه والحكمة ، فانه لا يكون شيئاً موقناً ، لأنه إذا جرى وصف أو شهادة على لسان حكيم ، أو مؤرخ أو بصير أو طيب ، يكون مقصوراً على ذلك الفرد أو الجيل ، ويكون محدوداً في ذلك الزمان ، ولكنها كلمة النبي الخالد ، النبي العالمي الانساني ، الذي ختمت به الرسالات و أكملت به الأديان و الشرائع ، إذا قال : - الايمان يمان ، ، فيجب أن يكون الايمان يمانياً في كل عصر ، و أنتم بدوركم تغارون على هذه الشهادة و الكرامة و تحاولون أن ذلك لا يكون مختصاً بزمان دون زمان ، هذه شهادة لكم قائمة مسجلة في التاريخ حفظها الحديث النبوي الصحيح ، فيجب عليكم أن تعزوا بهذه الشهادة .

إن كثيراً من الشعوب الاسلامية مستعدة للساومة و للبادلة معكم ، اعطوها هذه الشهادة الايمانية ، الشهادة بالايمن والفقه و الحكمة و خذوا منها ما شئتم ، و أنا أقول بلسان مسلي الهند على الأقل ، أقول خذوا منا ما شئتم من مكاتبات و من مدارس و من علوم و من ثروات و أعطونا هذه الكرامة التي

أكرمكم الله بها : « الايمان يمان و الفقه يمان و الحكمة يمانية » ،
والله أن كبار الأولياء من هذه الشعوب العجمية مستعدون ليتفاهموا
معكم فتهطونهم ، ولكن من المؤسف المحزن أن أكبر جزء من
الطاقات البشرية تنفق في إزالة الانقاض المتخيلة المفروضة .

يا جماعة ! إنها ليست أنقاضاً ، إنها أسس صالحة لبناء الانسانية
من جديد ولبناء الخلق الكريم و المجتمع الصالح ، إنها اعلام في
في متاهات الانسانية ، إنها ليست أنقاضاً ليست خرائب قد فقدت
قيمتها المعمارية ، فقدت قيمتها الصناعية ، لا ، ولكن كثير من
زعمائنا يتخيلون ما يعتز به المسلمون في بلادهم من عقيدة و إيمان
و أخلاق و مبادئ ، ركامات قد فقدت قيمتها و انقضى دورها ،
أنهم يعتقدون أن الاسلام بطارية قد نفذت شحنتها ، كثير من هؤلاء
يقولون أن الاسلام قد قام بدور عظيم حين كان الانسان بدائياً
حين كان الانسان في سن المراهقة الفكرية ، ولكن الآن تقدم العالم
وتقدمت العلوم ، وتقدمت المدنية ، فلا حاجة إليه ، لا يا إخواني ! إن
هذا الايمان يستطيع أن ينقذ أمريكا ، يستطيع أن ينقذ روسيا ، يستطيع
أن ينقذ الهند البرهمية ، يستطيع أن ينقذ اليابان ، يستطيع
أن ينقذ العالم كله ، ولكن الذنب علينا ، الذنب على الذين إلى الآن
لم يقيسوا هذا الايمان و هذه القوة بمقياس صحيح ولم يزنوا بالميزان

الصحيح الأمين، ليس هذا الإيمان مجرد كلمة، لا هذا الإيمان يستطيع أن يصنع عجائب كما صنع عجائب من قبل، ويحل كل مشكلات الإنسانية، لأن كل مشكلات الإنسانية نبعت عن عبادة النفس و الشهوات، نبعت عن الأنانية، نبعت عن النظر القاصر المحدود، نبعت عن الحزبية، نبعت عن شهوة الرئاسة، والإيمان يستطيع أن أن يتغلب على كل هذا، ويصنع من الأمة أمة جديدة و من البلاد بلاداً جديدة، و من العهد التاريخي عهداً تاريخياً جديداً، ولكن أين الذين هم يستطيعون أن يستخدموه في صالح بلادهم و في صالح الإنسانية؟

هذا هو الفراغ الأكبر الموجود الآن في المجتمع الاسلامي، كل شئ ميبأ، وكل شئ موجود، ولكن لا نجد أحداً يستخدمه، فأنتم يا أهل اليمن، أيها الاخوة ا أنتم تستطيعون أن تفيضوا على العالم الاسلامي إيماناً جديداً، العالم الانساني الآن يلهث ويلهث، ويقول كما سيقول أهل جهنم : أفيضوا علينا من الماء أو بما رزقكم الله، و اذكروا قول الله : « و اذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً و كنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها (١) » .

(١) آل عمران آية - ١٠٣ .

أنتم أبناء الأنصار و أبناء أبناء الأنصار ، الذين قال رسول
 الله ﷺ عنهم : « لو سلك الناس شعباً و وادياً و سلك الأنصار
 شعباً و وادياً لسلكت شعب الأنصار و وادياً ، ولو لا الهجرة لكنت
 امرأ من الأنصار ، و الناس شعار و الأنصار دثار ، اللهم ارحم الأنصار
 و أبناء الأنصار و أبناء أبناء الأنصار (١) ، « أين هذه الشهادات
 الفريدة ، و أين هذه الكرامات المجيدة لأمة من الأمم ، خصمك الله
 و رسوله عليه الصلاة و السلام بهذه الشهادات الخالدة و بهذه
 الكرامات المطوقة المشرفة ، فعليكم أن تشكروا هذه النعمة الجليلة
 التي تكادون تنفردون بها ، و لكن المعول على الشيء الذي أشاد به
 الرسول عليه الصلاة و السلام لا على الموارد و لا على التقدم ،
 و لا على الحضارة ، المعول على الإيمان ، المعول على الفقه ، المعول
 على الحكمة .

يا شباب الجامعة ! أنتم تستطيعون أن يكون دوركم أكبر
 و أسعد على الإنسانية من دور كولمبس الذي اكتشف العالم الجديد ،
 قارة أمريكا من غير إرادة ، إذا اكتشفتم العالم الجديد في أمتكم
 و بلادكم و في أرجاء العالم الاسلامي و انتفعتم بهذا الإيمان الذي

(١) زاد المعاد .

أكرم الله به الأمة الاسلامية و استخدمتموه في صالح الانسانية
و العالم الانساني المحتضر ، هذا الايمان الذي لا يخلقه إلا النبوة ،
و لا يخلقه إلا إرادة الله تبارك و تعالى .

هذه كلمتي لكم وأنا معتبط مسرور ، فاقه يعلم مدى سرورى
برؤية هذه المجموعة الغضة الطرية ، الصافية النقية ، الايمانية اليمانية ،
اقول لكم اخرجوا إلى عالم جديد ، اكتشفوا عالماً جديداً ،
و لا تقنعوا بالميسور الموجود ، أبحثوا عن الكنوز الدفينة ،
و الأرواح المطمورة في أرض القلوب المؤمنة .



المسلمون في رباط داكم

[محاضرة أقيمت في جامع المظفر (تعز) في ١٥ / من
شعبان ١٤٠٤١ هـ (١٦ / من مايو ١٩٨٤ م) بعد
صلاة المغرب في جمع حاشد فيه كبار العلماء
و أعيان البلد] .

سادق وإخواني ! قد قدر الله لي تجولا في صفحات التاريخ ،
و تجولا في البلاد الاسلامية ، و هكذا وفقى الله تبارك و تعالى
لأن أجمع بين الجولتين جولة في التاريخ عن طريق الدراسة والمطالعة ،
و جولة في الأرض الاسلامية بالرحلات العديدة و الزيارات
المكررة ، فلي حق في أن أتحدث إليكم بشئ من تجاربي وانطباعاتي
و أن أقدم إليكم بعض ملاحظاتي و توصياتي ، و قديماً قالت
العرب « الرائد لا يكذب أهله » ، فان لم أكن شيئاً فاني رائدكم ،
أنا رائد العالم الاسلامي كله على أساس العقيدة والايان ، والحمد لله ،

و رائد العالم العربي لأنى ألتقى معه و أتصل به عن طريق النسب
و اللغة و الثقافة ، و أقل واجب على الرائد أن لا يخفى شيئاً من
الحقائق عن الذين وضعوا فيه ثقتهم ، و قلده هذه الأمانة
و هذه المسؤولية .

أيها الاخوة الكرام ! إنى أبداً حديثى هذا بكلمة مجملها
التاريخ ، كلمة حكيمة بليغة على مدى الأعصار و الأمصار ، و على
مدار التاريخ ، كلمة قالها الصحابي الجليل و الفاتح العظيم عمرو بن
العاص رضى الله تعالى عنه ، فاتح مصر ، إنه لما شرفه الله باخضاع
مصر ، و بالأصح إدخالها ، فى حظيرة الاسلام و نقلها إلى ظل
الاسلام الوارف ، إنه لما استطاع أن يفتح هذه البلاد التى استعصت
على كثير من الفاتحين ، ولها تاريخ طويل فى تقدم المدنية والحضارة
والعلوم وقامت على أرضها حكومات من أقوى الحكومات ، وملكها
ملوك خلد القرآن بالذكر منهم فرعون ، لما فتح سيدنا عمرو بن العاص
رضى الله عنه ، و معه من الصحابة رضى الله تعالى عنهم عدد كبير
و من تبعهم من المسلمين ، كان له كل الحق فى أن يطمئن إلى
الوضع السياسى و إلى الوضع الاستراتيجى و إلى الوضع الجغرافى ،
لما دانت له مصر بأرضها وخصبها و غلاتها وخيراتها حتى وثافتها
وحضارتها و لغتها ، تعلمون جميعاً أن مصر من البلاد السعيدة التى

قبلت اللغة العربية كلغتها ، والخط العربي والحضارة العربية الاسلامية ،
 وكانت كل القرائن وكل الشهادات تدل على أن مصر مستظل جزءاً
 من أجزاء الامبراطورية الاسلامية ، وكان لا شئ يهدد بالخطر
 ويشكك في مصير مصر ، فلو كان أحد مكانه من الفاتحين الكبار
 الذين حدث عنهم التاريخ ، لآثني على جيشه و شهد له بالفروسية
 والعبقرية ، هنا على هذا الفتح العظيم وطمأنه إلى آخر الدهر ،
 وقال له كونوا على ثقة بأن مصر قد دانت لنا وخضعت ولا خطر
 ولا خوف ، أنعموا في ظلالها واشربوا من ماء النيل ، وسيحوا
 في الأرض كما شئتم و ابنوا فيها قصوراً مشيدة ، و اسكنوا فيها
 كأبناء البلاد ، و سادة البلاد و حكامها .

و لكنكم تعلمون ماذا قال هذا الفاتح العظيم الذي شرفه
 الله بصحبة النبي الرسول الأعظم ﷺ ، و ألهمه الحكمة و الفراسة
 المؤمنة الصادقة التي حدث عنها الرسول ﷺ فقال : « اتقوا
 فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » ، ماذا قال سيدنا عمرو بن العاص
 رضی الله عنه ؟ قال : « إنكم في رباط دائم لكثرة الأعداء
 حولكم وتشرف قلوبهم إليكم » ، إنه قال لهم لا تخلدوا إلى الراحة
 و لا تضعوا السلاح و لا تعتبروا نفوسكم قد نفضتم غبار الغزو ،
 فلکم الآن كل حق في أن تعيشوا عيشة الفاتحين الحكام ، لا ، إنكم
 في رباط دائم ، أتم محاطون بالأعداء كاللسان في الأسنان ، أتم

حفنة بشرية و نقطة مغمورة في هذا البحر الطامى من الأجناس
و الديانات و الحضارات في قارة أفريقيا التي تكاد تكون عالماً
بمفرده . فلا مساع لكم في أن تخلدوا إلى الراحة و أن تناموا نوم
الفاحين على أسرة الملوك الباذخين .

هذه وصية وصى بها سيدنا عمرو بن العاص رضى الله عنه ،
يجب أن يحفظها المسلمون و يجعلوها نبراساً لهم و دستوراً لهم في
الحياة ، إن محنة الشعوب الفاتحة و الأسر الحاكمة ، أنها تبدأ
حياتها بالتعشف و الفروسية و المغامرات و تنتهى بها - في فترة
قد تطول أحياناً و تقصر أحياناً - إلى حياة النعومة و الفسولة (١) ،
و فاكهة و شراب و عزف و قصف ، كما قال الشاعر العظيم الدكتور
محمد إقبال : « أنا أحكى لك قصة الفتح و قصة الحكومات
و رجالها في لفظ و جيز ، أنهم يبدأون بالسيف و السلاح و يتهمون
إلى الزمار و الغناء ، تلك بدايتهم و هذه نهايتهم » ، هذه قصة
جميع الحكومات التي قامت على أكتاف هؤلاء الشبان المتعشفين
الزهاد المغامرين بالنفس و النفيس ، و إلى أى شئ انتهت هذه

(١) فسل فسلا و فسالة و فسولة كان فسلا أى ضعيفاً

لا مروءة له و لا جلد .

الحكومات ؟ انتهت هذه الحكومات إلى ملوك مرفهين باذخين ،
قد استحوذ عليهم الشيطان و استهوتهم المادة و الشهوات ، و جن
جنونهم و تفتتوا في الألعاب و الأغاني و في المطاعم و المشارب ،
و أبعدوا النجعة ، إن القائد الحكيم سيدنا عمرو بن العاص نصح
العرب الفاتحين لمصر بأن لا يشتغلوا بالدواب الفسارمة و القصور
الباذخة و المطاعم اللذيذة الخيالية ، كأنه قال لهم : لا تعيشوا
عيشة « ألف ليلة و ليلة » ، عيشوا عيشة جد و صرامة ، عيشة فروسية
و رباط ، عيشة مجاهدين مناضلين ،

اقرأوا يا إخواني ! تاريخ الحكومة المغولية في الهند التي
كانت أكبر الامبراطوريات في القرن العاشر الهجري على وجه
الأرض ، وكانت تلي الدولة العثمانية فقط ، كانت بداية هذا الأمر
من « ظهير الدين بابر » ، وكان من الشدة و القوة أنه كان يحمل
رجلا على كتفه اليميني و رجلا على كتفه اليسرى ويمشي على السور
العالي ، بعد ذلك لما انتقلت الحكومة إلى ابنه نصير الدين « همايون »
استمر على شئ من الفروسية مع شئ من تنعم الملوك ، ثم انتقلت
الحكومة إلى نجله « جلال الدين أكبر » فكان كذلك وكان يقود
الجيوش الجرارة ، ثم انتقلت إلى ابنه « نور الدين جهانكير » فتدعم

ورق أكثر، حتى وصل الأمر بعد الامبراطور شاهجهان الذى بنى
« التاج محل » فى آكره إلى ابنه الملك الصالح السلطان محى الدين
أورنگ زيب عالمكير، وكان فارساً عصامياً وقائداً محكماً وزاهداً اعتبره
بعض المؤرخين سادس الخلفاء الراشدين، ثم دب الوهن فى هذه
الأسرة، فكانوا مثالا فى الترف و البذخ و حكاياتهم تشبه الخيال
فلا يصدق الانسان أن الانسان يبلغ إلى هذا التفنن الخيالى و إلى
هذا الغرام بالملاذ و الأغاني؟ ففسروا الدولة وضيعوا الملك .

و أتم يا إخوانى العرب ا تعيشون فى قطعة من الأرض
تتجه إليها الأنظار لأسباب لا أستطيع أن أشرحها الآن و يعرفها
المتبصرون الدارسون، أتم تعيشون فى قطعة قد ركز الأعداء كل
جهودهم و كل ذكائهم و كل مخططاتهم على إزالتها عن رسالتها وعن
شخصيتها الاسلامية العربية، و عن قيادتها للعالم الاسلامى، هذه
مؤامرة من أخطر المؤامرات التى عرفت فى التاريخ، إن الشعوب
على الرغم مما عندها من نظريات مختلفة قد تكون متناقضة، تلتقى
على نقطة واحدة و هى القضاء على مكانة الجزيرة العربية و قطع
صلتها عن الاسلام، هذا أقوله لكم كرائد لا يكذب أهله، كرجل
زار أوروبا و أمريكا، و اطلع على كتب المستشرقين و هو متابع

لما يقال و ينشر و يكتب هنالك ، ثم أقول لكم في ضوء معلوماً
وفي ضوء مشاهداتي ، إنه ليس العالم الخارجي والشعوب والحكومات
البعيدة عن هذه الجزيرة هي التي تشكل الخطر على كيان هذا
الجزء من الجزيرة العربية و شخصيته ، بل إنكم محاطون بدعوات
مناهضة للإسلام ومعسكرات تقوم على فلسفات تتناقض مع الإسلام
و مع مقومات شخصيتكم و جوهر رسالتكم و مركزكم في العالم ،
فأنتم لا يسوغ لكم أبداً ، أن تخلدوا إلى الراحة وأن تعيشوا عيشة
المنعمين المترفين ، أقول لكم بصراحة ، الترف هو العامل الأكبر
لهدم الحكومات و انقراض المدينيات و سقوط المجتمعات وهو الذي
ذمه القرآن فيقول : « و إذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها
ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً (١) » و « المترفون »
كلمة قرآنية تتكرر وتتردد في القرآن وهو يقول : « وكم أهلكتنا
من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا
قليلاً و كنا نحن الوارثين (٢) » ، الترف والبطر من أقوى العوامل
الحضارية و النفسية و الخلقية التي قد قضت على الحكومات المسنة

(١) سورة بني إسرائيل آية - ١٦ .

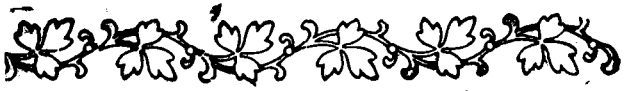
(٢) سورة القصص آية - ٥٨ .

الطويلة و على المدنيات المزدهرة بالزوال ، فلا بد أن ترجعوا إلى
حياة البساطة و شئى من التقشف ، لا أقول لكم عيشوا عيشة البدو
و الأعراب الأولين و كلوا لحوم الابل و اشربوا البسان الابل ،
ولا تتمتعوا بشئى مما أنعم الله به عليكم ، لا ، أنا لا أدعو إلى الرهبانية
فلا رهبانية فى الاسلام ، وأنا لا أدعو إلى تقشف غير طبعى ، ولكن
إلى شئى من التقشف إلى شئى من البساطة ، تحرروا من عاداتكم التى
لا تصورون الحياة و اللذة بغيرها ، لأننى لا أسمى هذه العادات
وهذه الهوايات و لا أحدها فأقل من قيمة حديثى المبدئى العام ،
إنما أتركه إلى ذكائكم و معرفتكم بالمجتمع و ارتبساط قلوبكم به ،
لا تستأسركم هذه العادات و الهوايات و الأعراف و التقاليد حتى تتحكم
فيكم و تستعبدكم . أن الأمم التى تقوم بدور بناء إيجابى و بدور يذكر
فى التاريخ لا تكون أسيرة لعاداتها ، و لا تكون مترفة مترفة
إلى آخر الحدود ، وكان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو
أبو الأمة و مربها ، كان يقول للأسلمين ، « تمعددوا و اخشوشنوا
و اخلولقوا و انزوا على ظهور الخيل نزوا ، يجب عليكم أن
تحمدا الله على نعمه الكثيرة و تشكروها و تقدروها قدرها ، ولكن
لا تلبسوا الحياة و لا ترققوها إلى حد لا يمكنكم أن تواجهوا فيه

أى محنة وأى شدة ، إنه يا إخواني ليس عصر «ألف ليلة وليلة» ،
 ليس عصر الأغاني ، الذى ألفه أبو الفرج الأصفهاني ، ولا عصر آ
 خيالياً ، إنما هو عصر صراع الطاقات الكبيرة و المعسكرات
 العظيمة المقررة للصير ، أنتم بين فكي الأسد ، أنتم بين طبقى الرضى ،
 لسان بين الأسنان ، و أنتم لابد لكم أن تحسبوا لهذا الزمان ولهذا
 المكان و لهذه الأحوال و لهذا الوضع القاسى و لهذا الواقع
 المر حساباً .

هذا الذى أريد أن أقول لكم ، كان فى إمكانى و الحمد لله
 أن أزيد ثقة إلى ثقتكم و أن ترجعوا من هنا مرتاحين فرحين
 تقولون بشرنا فضيلة الشيخ بشرنا بكذا وكذا ، وحقى لنا حكايات
 مشيرة ، حكايات شائقة ، لا ، هذا ليس من الأمانة ، إن الأكرام
 الذى لقيته منكم يملى على أن أكون صريحاً ، و قد قال رسول
 الله ﷺ قبل قرون و قرون «ويل للعرب من شر قد اقترب»
 فكيف بهذا الزمان الذى هو عصر المحن و الفتن ، و عصر العدا
 للإسلام و عصر المادية الرعناء و الردة الفكرية و العقائدية ، أنتم
 هنا حملة أمانة كبيرة و ورثة جيل عظيم و رثة العلماء الربانيين والأولياء
 الصالحين ، و رثة الحكام العادلين إلى قرون عديدة ، فيجب لكم أن

تسهروا على هذه الأمانة و أن تحسبوا لها كل حساب ، و أن
تنظروا إلى الواقع المحيط بكم تستعرضوا الوضع السياسي، الوضع المبدئي،
الوضع الدعوى الذى تعيشونه ، و يعيشه اليمن و تعيشه الجزيرة
العربية كلها ، و إني أهنئكم بأن الله اختار لكم هذه الأرض الطيبة
فاحمدوا نعمة الله و اشكروا الله تبارك و تعالى على هذه النعمة ،
و لكن كونوا أكفاء هذه الوراثة ، أكفاء هذه الأمانة ، أكفاء
هذه المسئولية .



معجزة الإسلام المخالفة

كلية ألفت في معهد النور في الحديدة ميناء البحر
الأحمر في اجتماع عام عقد في الساحة الفسيحة للمعهد
بعد نشيد الأطفال في الترحيب و تعريف الأستاذ
عبد الله إبراهيم مدير المعهد بمحاضر الليلة وقصيدة له ،
وذلك في ١٦ / من شعبان ١٤٠٤ هـ - ١٧ / ٥ / ١٩٨٤ م .

سادق و إخواني : حضرتني و أنا جالس معكم آية قرآنية
و هي قوله تعالى : « لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا
تعقلون (١) » ، فسر كثير من المفسرين هذه الآية بالشرف (٢) ،

(١) سورة الأنبياء - ١٠ .

(٢) جاء في تفسير روح المعاني للألوسي أن فيه ما يوجب

الشرف لكم لأنه بلسانكم و منزل على نبي منكم ، تتشرفون
بشرفه و تشتهرون بشهرته ، لأنكم حملته و المرجع في حل

معاقده ، ج / ١٧ ، ص / ١٤ - ١٥ .

يقول الله تعالى مخاطباً للعرب الأولين الذين نزل القرآن بلغتهم ،
و قد خاطبهم القرآن قبل أن يخاطب غيرهم فقال لقد أنزلنا أيها
العرب المسلمون كتاباً فيه شرفكم يعنى هذا الكتاب الذى يخلد ذكركم
فى الدنيا ، ويحفظ تاريخكم الجليل ، ويقيم للفتكم المحدودة فى الجزيرة
العربية دولة عالمية من أوسع الدول و أقواها ، دولة لا تقوم على
القوة و الإرغام ، بل على الحب و الطوعية و العقيدة و الايمان ،
من أوسع دول اللغات و رقاعها التى عرفت فى تاريخ الثقافات
و اللغات ، و يفرض دراستها و التوسع و الدقة فيها - لأجل
هذا القرآن العربى المبين - على أبناء العجم الذين يعتزون بلغاتهم
و آدابهم ، هذا الكتاب الجليل الذى نزل بلغة الجزيرة العربية على
لسان النبي العربى الأسمى ، مطلع صبح صادق فى ليل دامس غاسق ،
ومولد تاريخ جديد للأمة العربية التى مضت عليها قرون و أحقاب ،
فلولا هذا القرآن و لولا هذه النبوة الأخيرة العالمية التى آثر الله
لها الجزيرة العربية ، كانت الأمة العربية - و لا تؤاخذونى أيها
الاخوان - مطمورة مغمورة فى أنقاض التاريخ ، و كانت فى
مؤخر الركب الانسانى ، تعانى الفراغ العقلى و العلمى و العزلة
و الانطواء .

هل كان العرب - تصوروا أيها الاخوان ! - ولو عاشوا

مآت السنين ، يستطيعون أن يفسروا لغتهم العربية في العالم من أقصاه إلى أقصاه ، حتى يأتي رجل ولد في الهند - و الهند بلد له لغات و ثقافات ومدنية خاصة - و يدرس اللغة العربية و يجيدها ثم يأتي إلى زيد بلدكم و يأخذ من علمائها و أئمة اللغة و الحديث فيها (١) ، و يشتهر بالزيدي حتى تغلب هذه النسبة على نسبه الوطنية و يصبح الكثير من الدارسين و المثقفين لا يعرفون أنه من الهند و من الولاية الشمالية التي اتمى إليها ، هل تعرفون من هو ؟ هو العلامة السيد مرتضى بن محمد الحسيني الزيدي (١١٤٥ - ١٢٠٥ هـ) يتناول القاموس المحيط من أشهر المعاجم العربية للإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ٨١٧ هـ (وهو دفين يزيد) بالشرح ، و يؤلف « تاج العروس » في عشر مجلدات كوامل (٢) في أربعة عشر عاماً و شهرين ، و لا أعرف في لغة من اللغات التي لي مشاركة فيها أو إلمام بها ، أن معجماً اعتنى به هذا الاعتناء و شرح هذا

(١) من أخصهم العلامة السيد أحمد بن محمد مقبول الأهدل و من في طبقة .

(٢) وقد ظهر الكتاب في عشرين جزءاً من الكويت بتحقيق عبد الكريم الغرباوى حديثاً (الحسنى) .

الشرح المستفيض ، وجمعت فيه هذه الثروة اللغوية الهائلة ، والتدقيق الذى اتسم به هذا الشرح الكبير ، و يعتبر هذا الكتاب حجة ويبلغ من القبول و الشهرة حتى يتنافس فيه المتنافسون من أفاضل العلماء ، وكبار الملوك والأمراء ، فاستكتب منه ملك الروم نسخة ، و سلطان دارفور نسخة ، و ملك المغرب نسخة ، و طلب منه أمير اللواء محمد بيك أبو الذهب نسخة ، و جعلها فى خزانة كتب مسجده التى أنشأه بالقرب من الأزهر و بذل فى تحصيله ألف ريال (١) .

و كذلك ما الذى جاء بالامام مجد الدين الفيروزآبادى ، الذى ذكرته آنفاً ، صاحب « القاموس المحيط » و صاحب « سفر السعادة » و من كبار القضاة والمؤلفين ، من بلده فيروزآباد فى إيران إلى مدينة زيد فى اليمن ، يؤثره بالأقامة و يقضى فيه آخر أيام حياته و يلقى حمامه و يدفن فى أرضه ، هل شئ غير رابطة الدين و رابطة اللغة العربية و مكانة زيد الدينية و العلمية ؟

و إلى هذه النقطة لفت النظر و أنا أحاضر فى جامعة جنيف

(١) يراجع للتفصيل كتاب « نزهة الخواطر » للعلامة عبد الحى

الحسنى ، المجلد السابع ترجمة العلامة السيد مرتضى الزبيدى .

بسويسرا في اللغة العربية، في حفلة عقدت بمناسبة مولد الرسول ﷺ،
و تساملت وفي الاحتفال عدد من كبار الأساتذة والمثقفين، ليس
من معجزات القرآن والاسلام أن هندياً يحاضر في اللغة العربية في
عاصمة أوربية، تصوروا أيها الاخوان العرب !! كيف انتشرت
هذه اللغة و طبقت الآفاق حتى فاق فيها غير العرب، لقد كانت
الجزيرة العربية رغم سعتها منظوية على نفسها منعزلة عن العالم، كان
فيها شعراء و خطباء و لكن لم ينبغ فيها شاعر و لا أديب عرفت
مكاته في الخارج، وتوفر كبار الأذكياء ونوابغ العلماء على دراسة
شعره و شرحه، و لكن لما من الله على الجزيرة العربية بالبعثة
المحمدية، انطلق الاسلام و فتح القلوب و سخر العقول، وخرجت
اللغة العربية من نطاقها الضيق - و إن كان واسعاً - إلى خارج
الجزيرة و نبغ فيها باحثون و علماء و محققون .

و في إحدى زياراتي (١) سألت العلامة عبد العزيز الميمنى
الراجكوتى صاحب « سبط الآلى » و « أبو العلاء و ما إليه » ،
وأحد أعضاء لجنة تصحيح « لسان العرب لابن منظور » ، كم تحفظ من
شعر العرب ؟ فوقف ثواني ثم قال بين خمسة و سبعين ألف ومائة

(١) كان ذلك في يوليو سنة ١٩٧٨م في كراتشى باكستان .

ألف من الآيات ، ولم يكن في ذلك مبالغاً ومجازفاً بالقول يعرف ذلك تلاميذه و الذين عرفوه (١) ، فهل يوجد مثال لذلك في أى لغة من لغات العالم يدرسها أجنبي فيحفظ منها هذا العدد الكبير من آياتها ؟ .

و نزول القرآن باللغة العربية سر بقاء اللغة العربية وانتشارها كما قرره الكاتب المسيحي جرجى زيدان ، وقاله كثير من الباحثين . قبل قرن كان الانجليز يحكمون الهند ، وكان أبناء شبه القارة الهندية يتظرفون و يتقبلون بدراسة اللغة الانجليزية و المهارة فيها ، بها يكتبون ويخطبون ، وفيها يؤلفون ويدرسون ، ولكن لما خرج الانجليز من الهند بدأ الناس يكرهون اللغة الانجليزية و يعتبرونها رمزاً للاستعمار ، و بدأت حركة نحو الخط الانجليزى و الحروف الانجليزية من الألواح واللافتات ، وقد حكم المغول الهند مدة ثلاثة قرون وكانت لغتهم القومية التركية ولكن اندرست هذه اللغة وجعلت بعد انقراض الحكم المغولى ، وهكذا فقدت اللغة الفارسية التى كانت لغة الديوان الشئى الكثير من أهميتها والعناية بها ، ولكن المسلمين في شبه القارة لا يزالون متمسكين باللغة العربية محتفظين بها ، لهم مدارس تعلم اللغة العربية و العلوم الدينية تعد بالآلاف لأنها لغة القرآن

(١) توفى في نوفمبر ١٩٧٨ م .

و مفتاح كنوز السنة ، و مدخل المكتبة الاسلامية العربية ولغة
نبيهم و صحابته .

يوصى كبار علماء الهند ، وقادة الاصلاح و التجديد في هذه
القارة بالعناية باللغة العربية ، والاعتزاز بها ، والحرص على معرفتها
و دراستها . يقول شيخ الاسلام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى
المعروف بالشيخ ولى الله الدهلوى المتوفى ١١٧٦هـ في رسالته التى
أسمها : « المقالة الوضیئة فى النصیحة و الوصیة » .

« نحن رجال غرباء ، هاجر آباؤنا إلى الهند ، و إن هرية
النسب و عرية اللسان مفخرتان لنا ، و هى التى تقربنا إلى سيد
الاولين و الآخريين و أفضل الأنبياء و المرسلين ، و مفخرة
الوجود ﷺ ... السعيد منا من حصلت له مشاركة فى لسان العرب
والعريف والنحو ، و كتب الأدب و اطلع على الحديث و القرآن ،
و لا بد لنا من حضور الحرمين الشريفين و تعلق القلب بهما ، وفى
ذلك سر سعادتنا ، و الشقى من أعرض عنهما (١) .

أين رابطة الشعوب و البلاد بلغات حكاهم و مستعمرهم
أو باللغات التى لا يتصلون بها إلا عن طريق السياسة أو الثقافة

(١) المقالة الوضیئة فى النصیحة و الوصیة ، طبع دهلى ١٢٦٧هـ .

أو الاقتصاد ، من هذه الرابطة التي تقوم على العقيدة و الإيمان و الحب و الغرام ، ولا تستطيعون أيها الاخوان أن تقدروا مدى حب أهل الهند من المسلمين و مسلمي أنحاء العالم الاسلامي الأخرى لكم ، و تقديرهم لدوركم في التاريخ ، و مدى احترامهم للثقافة و ثقافتكم لأنه هو الحب الخالص الذي يقول الله تعالى عنه : « هو الذي أيدك بنصره و بال مؤمنين و ألف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ، و لكن الله ألفت بينهم لأنه هو العزيز الحكيم (١) .

و لذلك لما سمح بالأذان باللغة العربية في تركيا - و كان ذلك ممنوعاً في عهد أتاترك - خرج الأتراك من بيوتهم و بدأوا يرقصون فرحاً ، و ذبحت مآت من النعاج شكراً و سروراً بأن الله مد في حياتهم حتى أدركوا هذا اليوم السعيد ، و سمعوا الأذان العربي في لغة نبيهم التي كان يؤذن فيها بلال و أبو محذورة و ابن أم مكتوم ، و الذي كان يدوي على منائر مساجدهم قبل أن يصدر هذا الحكم القاسي السفيه .

هذا هو الرباط الذي يربط الشعوب بكم و هو الذي تضمنه

(١) آل عمران - ٦٣ .

قلوب غير العرب لكم و هو نابع عن شعور واحد ، وهو الشعور
بعظم نعمة الاسلام و سخامتها التي جاءتهم عن طريقكم ، إنهم ينظرون
إيكم كحامل رسالة الاسلام و ناقل التعاليم الاسلامية ، ينظرون
إيكم كالمنقذ من الضلال ، و كالمخرج من الظلمات ، ذلك الذي رفعكم
أيها العرب إلى مستوى القيادة العالمية ، فهل تتخلون عن هذه
المنزلة الرفيعة و تنزلون إلى مستوى القوميات و العصبيات ، و النظريات
الضيقة ، و القوانين التي تغير صباح و مساء ؟ .

نذكركم يا أبناء اليمن و يا أبناء الأنصار ! ما سجله الحديث
الصحيح من حوار دار بين رسول الله ﷺ و الأنصار ، حين
تقاول بعض شبابهم في أن الرسول آثر بأكبر الغنائم رجال قريش
من المؤلفات قلوبهم ، فجمعهم رسول الله ﷺ في حظيرة و قال لهم :
« يا معشر الأنصار ما قاله بلغتني عنكم و جدتموها
في أنفسكم ؟ ، ألم آتكم ضللاً فهداكم الله بي و عالة فأغناكم الله بي ،
و أعداء فألف الله بين قلوبكم ، قالوا : الله و رسوله أمن و أفضل ،
ثم قال ألا تجيبوني يا معشر الأنصار ؟ قالوا بماذا نجيبك يا رسول
الله ، لله و رسوله المن و الفضل ، قال أما و الله لو شتم لقتلتم
فلصدتم و تصدقتم ، أتينا مكذباً فصدقناك ، و مخذولاً فنصرناك ،
و طريداً فأريناك ، و عائلاً فواسيناك ، أو جدتم على يا معشر الأنصار

في أنفسكم في لعاعة من الدنيا ، تألفت بها قرماً ليسلوا ، و وكلتكم
إلى إسلامكم ، ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاء
و البعير و ترجعون برسول الله إلى رحالكم ؟ ، فوالذي نفس محمد
بيده لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به ، ولولا الهجرة لكنت امرأ
من الأنصار ، و لو سلك الناس شعباً و وادياً و سلكت الأنصار
شعباً و وادياً لسلكت شعب الأنصار و وادياً .

الأنصار شعار والناس دثار ، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار
وأبناء أبناء الأنصار ، قال فبكى القوم حتى اخضلوا لحامهم ، وقالوا
رضينا برسول الله ﷺ قسماً و خطأ .

و الزمان قد استدار كهيته يوم كان الخيار بين الفئام و بين
رسول الله ﷺ ، فأعلن الأنصار «رضينا برسول الله ﷺ قسماً
و خطأ ، و تقوم معركة جديدة بين المعسكرات و الدعوات ،
و النظم و الفلسفات ، و تعقد ألوية جديدة يرفعها قادة الجاهلية
الجديدة و زعماء الثورة على الاسلام ، فليكن هتافكم في هذا المعترك
الجديد و التخيير الجديد بين اتباع الاسلام و الانضواء إلى رؤية
محمد عليه السلام و بين الانضواء إلى رأيات منافسيه ، ليكن
هتافكم في هذا «رضينا برسول الله صلى الله عليه وسلم قسماً
و خطأ .»

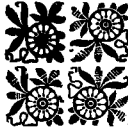
و أنتم أبناء الأبناء و أولئك البررة الذين شهد
لهم لسان النبوة بالإيمان و الفقه و الحكمة ، و كفى به شرفاً
و شرفاً .

أكتفى بهذا و أشكر منظمى هذا اللقاء العظيم و الذين جاءوا
من أماكن بعيدة و سمعوا هذا الحديث بأذان صاغية و قلوب
واعية ، و أحمد الله تبارك و تعالى على أنه كتب لى هذه الزيارة
لهذه الأرض الطيبة الحبيبة ، و حقق لى الأمانة العزيزة القديمة التى
راودتى و خامرت قلبى منذ أعوام طوال ، لما بينى و بين اليمن
اليمنون - و قد اعتاد كثير من علماء الهند أن لا يذكروا اليمن
إلا مقروناً باليمنون - من صلوات ثقافية (١) ، و روابط دينية

(١) أنا تلميذ الشيخ خليل بن محمد بن حسين الأنصارى اليماني
من أبناء الحديدية تخرجت عليه فى اللغة العربية و الأدب
العربى ، و شيخى العلامة حيدر حسن شيخ الحديث فى دار
العلوم ندوة العلماء ، و والدى العلامة عبد الحى الحسنى ،
تلميذان للعلامة حسين بن محسن الأنصارى السديعى اليماني
فى الحديث ، و هو من مواليد الحديدية و تلاميذ الشيخ

★ أحمد بن محمد بن على الشوكافى (و هو تلميذ والده الامام

و عليه ، فله الحمد في الأولى و الآخرة .



★ محمد بن علي الشوكاني صاحب «نيل الأوطار» وتلميذ العلامة
المحقق محمد بن ناصر الحسيني الحازمي ، و قد انتقل إلى
بهوفال و شمر عن ساق الجد في نشر الحديث و تدريسه ،
أخذ عنه عدد كبير من كبار العلماء و الأساتذة ، كالعلامة
السيد صديق حسن أمير بهوفال و الشيخ محمد بشير السهسواني
و الشيخ شمس الحق الديانوي و غيرهم ، كانت وفاته
سنة ١٣٢٧ هـ .

مصداق قوة المسلم

[حديث ألقى في لواء المدرعات بصنعاء صباح
١٩ / من شعبان ١٤٠٤ هـ - ٢٠ / مايو ١٩٨٤ م ،
ونقل من الشريط وتناوله المحاضر بالحذف والزيادة
والتنقيح والتهديب ، فأصبح حديثاً محرراً مستقلاً ،
وذلك رجاء أن يكون أكثر تركيزاً و قوة ، ويعم
نفعه للقوات العسكرية في جميع البلاد الاسلامية]

أهوذ بالله من الشيطان الرجيم ، و لا تنهوا في ابتغاء القوم
إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون ، و ترجون من الله ما لا
يرجون و كان الله عليمًا حكيمًا (١) .
إخواني الأعزاء ! تعلمون جميعاً و أنتم و الحمد لله مشفقون
متعلمون أبناء هذه التربة الكريمة الندية ، الايمانية اليمينية ،

(١) سورة النساء - ١٠٤ .

أن الدعوة الإسلامية قامت على أكتاف البشر ، و الفتح و الانتصارات التي تحققت و تمت في الشرق و الغرب إنما تحققت على أيدي بني آدم ، لم يكن الأمر أن المسلمين كانوا من جنس الجن أو الملائكة ، و منافسوم كانوا من البشر ، لا ، كلهم بنو آدم ، و كلهم من لحم و دم ، و كلهم كانوا يحملون أجساماً خاضعة لناموس السنن الالهية و الطبيعة البشرية ، تفرح و تكلم ، و تتأذى و تتألم ، هم في ذلك سواء ، فاذا قسنا هذه الأجسام البشرية و هذه المواد الانسانية بمقياس الطبيعة ، كانوا سواء في ذلك .

و لكن الله سبحانه و تعالى يقول للمسلمين و يعلمهم كما يعلم الأستاذ الكبير و المربي العطوف الأطفال الصغار : « و لا تنهوا في ابتغاء القوم (١) » ، تقولون لا قبل لنا بالأعداء ، فاننا نحمل أجساماً بشرية تتأذى و تتألم و تصيبها جراحات و كظم ، فيقول الله تعالى : « إن تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون (٢) » ، يعني إن كنتم تشعرون بالألم ، فان منافسيكم كذلك يشعرون بالألم ، فانهم يحملون أجساماً بشرية مثلكم ،

ولكن هنالك فارق كبير ، وهو أنكم ترجون من الله ما لا يرجو هؤلاء إنكم ترجون عند الله الثواب العظيم ، لأنكم تؤمنون

(١) سورة النساء - ١٠٤ . (٢) أيضاً .

بأنكم إذا متم في ساحة القتال فأنتم من الشهداء الذين يقول الله تبارك وتعالى عنهم : « ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات ، بل أحياء و لكن لا تشعرون (١) » ، و يقول : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً ، بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله و يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٢) » ، و يقول : « و الذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم ، سيهديهم و يصلح بهم ، و يدخلهم الجنة عرفوا لهم (٣) » .

يقول رسول الله ﷺ : « ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا و له ما في الأرض من شئ إلا الشهيد ، يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات ، لما يرى من الكرامة (٤) » ، و يقول : « والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئة يوم كلم ، لونه لون دم و ريحه ريح مسك » .

(١) البقرة - ٥٤ .

(٢) آل عمران - ١٦٩ .

(٣) سورة محمد - ٤ ، ٥ ، ٦ .

(٤) البخارى و مسلم .

وفيه أنه قال : « والذى نفس محمد بيديه لوددت أن أغزو
 فى سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل (١) ،
 و يقول : « إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف (٢) ،
 و فى رواية : « واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف (٣) ،
 و قال : « لا يلبغ النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن
 فى الضرع و لا يجتمع على عبد غبار فى سبيل الله و دخان
 جهنم (٤) » .

و تؤمنون بأن كل جراحة تصيبكم إنما هى فى سبيل الله وكل
 قطرة من دماكم تسيل على الأرض تغير مصائر الأمم و تنقل
 الناس من الظلمات إلى النور و أنتم تقضون على شقاء الانسانية
 و على شقاء الأمم ، إنما خرجتم لنشر هداية الله و إنقاذ البشرية ،
 كما قال سيدنا ربيع بن عامر لرستم قائد قواد الفرس حين قال له
 ما الذى جاء بكم ؟ « الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى

(١) رواه مسلم و رواه البخارى بعضه .

(٢) رواه مسلم .

(٣) متفق عليه .

(٤) رواه الترمذى .

عبادة الله وحده و من ضيق الدنيا إلى سعتها و من جور الأديان
إلى عدل الاسلام (١) .

ما أعظم هذا الفارق و ما أكبره تأثيراً على المشاعر ومنهج
التفكير وإثارة القوة المعنوية التي هي أكبر من قوة السلاح وقوة
الأجسام بل أعظم من الطاقة الذرية ، والتي اقتصرت بها العدد القليل
على العدد الكبير ، و الانسان الضعيف على الانسان القوى ، مات
و آلافاً من المرات ، في تاريخ الحروب والغزوات ، فاذا أصابكم
ألم فقولوا هذا في سبيل الله ، فلا يهون هذا الألم فقط بل ينتقل إلى
لذة و عزة و قد دميت إصبع رسول الله ﷺ في القتال فتمثل
بهذا البيت :

هل أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت (٢)

إن عقيدة الايمان و عقيدة الثواب والأجر ، و الشوق إلى
الجنة والحنين إلى الشهادة ، يأتي بمجانب لا يتصورها العقل ويحدث
نشوة الايمان التي تقضى على ألم الجراح ، و قد روى التاريخ أن
جعفر بن أبي طالب أخذ رؤية رسول الله ﷺ في غزوة مؤتة (٣) ،

(١) البداية و النهاية لابن كثير .

(٢) في الصحيحين .

(٣) كانت في السنة الثامنة للهجرة .

فقاتل بها حتى إذا أرهاقه القتال اقتحم عن فرسه ، فمقرها ثم قاتل ،
فقطعت يمينه فأخذ الرأية بيساره فقطعت يساره ، فاحتضن الرأية
بعضديه ، حتى قتل ، وله ثلاث وثلاثون سنة ، و وجد المسلمون
ما بين صدره ومنكبيه وما أقبل منه تسعين جراحة ، ما بين ضربة
بالسيف و طعنة بالرمح كلها في الأمام ، و مات فقى الفتيان و هو
يحن إلى الجنة ويتغنى بنعماتها و يستهين بالعدد والعدد و يزخارف
الدنيا (١) .

هل يتصور هذا من غير عقيدة تتغلغل في الأحشاء و نشوة
إيمانية تسرى في العروق ، ولذة روحية تنغلب على الشعور بالألم ؟
و أنا أروى لكم ثلاث حكايات و نماذج من هذا الايمان
من عصر الرسالة و حياة الصحابة ، ثم أضم إليها ثلاث حكايات من
تاريخ الجهاد والدعوة الاسلامية في القرن الثالث عشر الهجرى في عصر
متأخر عن عصر النبوة و في ناحية بعيدة - شبه القارة الهندية -
عن مراكز الاسلام و مهبط الوحي و منزل القرآن ، لتعرفوا أن
تاريخ الايمان متصل و أن شجرة التربية الاسلامية تؤتى أكلها كل
حين باذن ربها ، و خلية الاسلام تعمل في كل مكان و زمان .

(١) ابن كثير ، ج/٣ ، ص/٤٧٤ ، و زاد المعاد ج / ١ ،

فمن حكايات عصر النبوة لما تراجع المسلمون يوم أحد تقدم
 أنس بن النضر فلقبه سعد بن معاذ ، فقال : أين يا أبا عمر ؟ ،
 فقال أنس واهما لريح الجنة يا سعد ، إن أجدها دون أحد (١) ،
 و يقول زيد بن ثابت رضی الله عنه بعثني رسول الله ﷺ يوم
 أحد أطلب سعد بن الربيع فقال لي : إن رأيته فاقرأه مني السلام
 و قل له : يقول لك رسول الله ﷺ كيف تجمدك ؟ ، قال لمعلمت
 أطوف بين القتلى ، فأثيته وهو بأخر رمق ، فقلت يا سعد إن
 رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام و يقول لك أخبرني كيف
 تجمدك ؟ ، فقال و على رسول الله السلام ، و قل له : يا رسول
 الله أجد ريح الجنة ، و قل لقومي الأنصار : لا عذر لكم عند الله
 إن خالص إلى رسول الله و فيكم عين تطرف و فاضت نفسه
 من وقته (٢) .

و الحكاية الثالثة هي حكاية خبيب رضی الله عنه ، لما جاؤا
 به ليصلبوه - و ذلك في سنة ثلاث للهجرة في الرجيع (٣) -

(١) زاد المعاد ، ج / ١ ، ص / ٣٥٠ ، و أصل الرواية
 في الصحيحين .

(٢) أيضاً ، ص / ٣٥٣ .

(٣) و هو موضع بين عسفان و مكة .

قال لهم إن رأيتم أن تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا ، قال
دونك فاركع ، فركع ركعتين أتمهما و أحسنهما ، ثم أقبل على
القوم فقال أما والله لو لا أن تظنوا أني طواتهما جزعاً من القتل
لاستكثرت من الصلاة ، و أشد يتين :

فلست أبالي حين أقتل مسلماً على أى شق كان فى الله مصرعى
وذلك فى ذات الاله وأن يشاء يبارك على أوصال شلو بمزع (١)
ولقائل أن يقول : أنت تحدثنا عن عصر كله سعادة وبركة ،
وعن أناس نشأوا فى أحضان النبوة وفى مدرسة القرآن و الايمان ،
و كيف يتوقع مثل هذه النفحات الايمانية من رجال تأخر عصرهم
و بعد مصرهم ، و اختلفت بيئتهم ، فانى أعرض عليكم ثلاثة نماذج
من هذا الايمان و البطولة ، ملتقطة من تاريخ حركة الجهاد
والاصلاح التى قادها السيد الامام أحمد بن عرفان الشهيد (١٢٤٦هـ)
فى شبه القارة الهندية (٢) ، يقول المؤرخ :

(١) رواه البخارى فى كتاب المغازى ، و راجع للتفصيل

سيرة ابن هشام ، ق / ٢ ، ص / ١٦٩ - ١٧٦ .

(٢) راجع للاطلاع على هذه الحركة العظيمة الفريدة ودوافعها

و تفاصيلها فى كتاب صاحب المحاضرة ، إذا هبت ★

رجع المسلمون من ساحة القتال في « ميار » ظافرين و قد
اغبرت وجوههم وثيابهم من النقع حتى تقنعت وجوههم وتكروا ،
وقام الرئيس بهرام خان بالمدبل يفض النقع عن وجه السيد الامام ،
فقال السيد مهلا يا أبا الأفغان مهلا ، فان هذا النقع هو الغبار
الذي قال فيه النبي ﷺ : « لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان
جهنم (١) » ، و ما جئنا إلى هنا و ما تحملنا المشاق إلا لأجل
هذا الغبار مهلا يا أبا الأفغان مهلا ، ومكث المجاهدون ولم ينفصوا
عنهم الغبار في ذلك الحين :

و الحكاية الثانية حكاية أحد المشاركين في هذه الغزوات
الاسلامية يقول فتح على العظيم آبادى بينما أنا أمر بين القتلى والجرحى
إذا بالسيد أبي محمد محمود بنفسه و قد أثنخته الجراح فدنوت منه
وصرخت في أذنه ، يا أبا محمد إن الله قد نصر أمير المؤمنين وهزم
الاعداء ، و لم يلتفت أبو محمد و لم يتكلم و مازال يلحس شفقيه
ويقول : « الحمد لله الحمد لله » فحملته إلى القرية وبه رفق ونفس

★ ربح الايمان ، طبع مؤسسة الرسالة بيروت ، ودار القلم

بالكويت .

(١) في السنن .

يتردد ، و هو يلحس شفثيه و يحمد الله و ما لبث أن لفظ نفسه
الأخير .

و الحكاية الأخيرة أن القاضي الانجليزى (أيدورس) أصدر
حكم الاعدام (الموت شتقاً) على الشيخ محمد جعفر (١) فى
محاكمة أبناؤه فى ٢ من مايو ١٨٦٤م (١٢٨٠هـ) وقال ها أنا ذا أحكم
عليك بالاعدام ومصادرة جميع ما تملكه من مال وعقار ، ولا يسلم
جسدك بعد الشنق إلى ورثتك بل تدفن فى مقبرة الأشقياء بكل مهانة ،
و سأكون سعيداً مسروراً حين أراك معلقاً مشنوقاً ، و لكن
محمد جعفر استبشر حين سمع هذا وتهلل وجهه فرحاً ، كأنما تمثلت
له الجنة و تمثلت له الحور و القصور و تمثل بيت الشاعر :

هذا الذى كانت الأيام تنتظر فليوف الله أقوام بما نذروا

هنا تقدم ضابط إنجليزى و قال لم أر كاليوم قد حكم عليك
بالاعدام وأنت مسرور مستبشر ؟ قال محمد جعفر ، ومالى لا أفرح
و لا أستبشر ، و قد رزقنى الله الشهادة فى سبيله ؟ ، و أنت يا
مسكين لا تدرى حلاوتها .

(١) كان من كبار أنصار السيد الامام و أتباعه و من المنظمين
لبعث الامداد والمساعدات إلى مركز المجاهدين فى الحدود
الغربية الشمالية من الهند .

وكذلك كان . ولأنا يحى على الذى حكم عليه بالاعدام كذلك ،
فكان من أشد الناس فرحاً كأنه من شوق الجنة فى الجنة ومن
إنتظار النعيم فى النعيم ، ينشد الآيات فى حنين و وجد و يتمثل
بما قال سيدنا خبيب رضى الله عنه عند شققة (١) .

ولكن هذا الفارق لا يأتى إلا عن طريق الرسالة السماوية ،
و عن طريق الايمان و العقيدة و عن طريق التربية الاسلامية ،
و عن طريق القيادة الايمانية و الشخصية القوية القيادية ، إن هذا
فارق لا يشارككم فيه شعب و لا جيش من الجيوش و لا شباب
من الشباب المسلمين المقاتلين ، وما هزم المسلمون و نكبوا بالنكبات
الاخيرة و فقدوا المركز القيادى فى العالم و خسروا بلادهم و دولهم ،
و ما ذلوا و ما هانوا إلا حين ضعفوا فى هذه القوة المعنوية
و فقدوها على مر الأيام و لا تمكن استعادة هذا المركز و هذه
المهابة فى القلوب ، و الرجحان فى كفتين متساويتين فى العدد و العدد ،
إلا بالاسترداد هذه القوة و الشحنة الأمانية و التربية الاسلامية ،
و استحضار فضائل الجهاد و الشهادة فى سبيل الله و مدارستها .

والشئى الثانى هو تجنب ما يبعد عن نصر الله و يعرض لسنخ
الله و قد روى أن الأمراء فى اليرموك لما كتبوا إلى أبى بكر

(١) و قد مر اليتان .

وهو رضى الله عنهما يعلوניהما بما وقع من الأمر العظيم وما يقابلونه
من خطر داهم و عدد لا قبل لهم به ، كتبنا إليهم إن اجتمعوا
وكونوا جنداً واحداً ، وألقوا جنود المشركين ، فأنتم أنصار الله ،
و الله ناصر من نصره ، وغاذل من خذله و لن يؤتى مثلكم عن
قلة و لكن من تلقاء الذنوب فاحترسوا منها .

و لما أمر سعد بن وقاص جيشه بعبور دجلة وليست هنالك
سفن ولا جسر ، والعرب لا عهد لهم بالسباحة و عبور الأنهار ،
قال حسبنا الله و نعم الوكيل ، و الله لينصرن الله و ليه و ليظهرن
الله دينه إن لم يكن فى الجيش بنى أو ذنوب تغلب الحسنات (١) .
و كتب سيدنا عمر بن عبد العزيز إلى قائد جيشه قال فيه :
و أمره أن لا يكون من شئ من عدوه أشد احتراماً منه لنفسه
و من معه من معاصى الله ، فان الذنوب أخوف عندى على الناس
من مكيدة عدوهم و إنما نعادي عدونا و نصر عليهم بمعصيتهم ،
ولو لا ذلك لم يكن لنا قوة بهم لأن عدونا ليس كعددهم ولا عدتنا
كعدتهم ، فلو استوتينا نحن وهم فى المعصية كانوا أفضل منا فى القوة
و العدد فان لا نصر عليهم بحقنا لا نغلبهم بقوتنا ، و لا تكونوا
بمداوة أحد من الناس أحذر منكم لذنوبكم ، و لا تكونوا بالقدرة

(١) البداية و النهاية ، ج / ٧ ، ص / ٦٥ .

لكم أشد تعاهداً منكم لذنوبكم (١) .

هذا هو الفارق النفسى العميق ، الطبيعى الدقيق ، بين مقاتل

لغرض مادى أو لمجرد نظام عسكري و خضوع لما يصدر من

القيادة من تعليمات و ترتيبات ، و بين من يقاتل فى سبيل العقيدة

و فى سبيل الايمان و تصديق ما جاء من الله و رسوله من وعد

و أخبار ، يتمثل ذلك فى ما روى فى تاريخ الغزوات الشامية ،

أن رجلاً جاء إلى أبى عبيدة يوم اليرموك ، و هو قائد الجيش

الاسلامى ، فقال إني قد تهيأت لأمرى فهل من حاجة إلى رسول

الله ﷺ ، قال نعم تقرئه عنى السلام و تقول يا رسول الله إنا

قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً (٢) .

ما أرسخ هذا اليقين ، و ما أشد هذا الايمان بأنه سيلقى

الرسول عليه الصلاة والسلام ، لا يقل هذا الايمان من إيمان رجل

يخبره صديق له بأنه مسافر إلى مصر أو إلى الهند أو إلى الحجاز ،

فيحمله رسالة إلى أسرته ، بل يخامر ذلك عشرة شكوك لعله يعدل

عن السفر ، أو يتوجه إلى جهة أخرى أو يموت فى الطريق ،

(١) سيرة بن عبد العزيز لأبى محمد عبد الله ابن حكيم المتوفى

سنة ٥٢١٤ .

(٢) البداية و النهاية ، ج / ٧ ، ص / ١٢ .

أو لا يقابل أعضاء أسرته ، أو يفسى الرسالة ، ولكن إيمان المسلم
الذى يتهيا للقتال ببقاء الرسول ﷺ وثقة أبي عبيدة بهذا اللقاء أعظم
وأقوى من ثقتنا باتجاه أحدنا إلى بلد من البلدان و وصوله إليه .
و هذا الفارق النفسى يتجلى فى ما ينقل من حوار بين كلب
صيد - الكلب المعلم - و غزال ، قال الكلب للغزال : لماذا
لا ألحقك يا غزال ، و أنا مصرب المثل فى العدو و الجرى و قد
مرنت على هذا و دربت ولكنى لا أدركك ، قال : لأنك تعدو
لسيدك و أنا أعدو لنفسى ، و شتان بين من يعمل عملاً ميكانيكياً
لا دافع فيه و لا لذة ، و لا إيمان فيه و لا عقيدة ، و بين
من يعمل مدفوعاً من عقيدته و منبعثاً من أعماق نفسه ، و من أعماق
العقيدة الراسخة و الايمان الجازم ، و عن تمثّل للجنة و استنشاق
أريجها و تنسم نفحاتها و طمع فى أجر الآخرة و القبول عند الله



درس من قوم سبأ

محاضرة أقيمت في جامع المشهد بصنعاء في ١٩ / من
شعبان ١٤٠٤ هـ - ٢٠ / مايو ١٩٨٤ م ، في حفل
كبير ملاً أرجاء الجامع الكبير .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : « لقد كان لسبأ في مسكنهم
آية ، جنتان عن يمين و شمال ، كلوا من رزق ربكم واشكروا له ،
بلدة طيبة و رب غفور ، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم
وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط و أثل و شتى من سدر
قليل ، ذلك جزيناهم بما كفروا و هل نجازى إلا الكفور و جعلنا
بينهم و بين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة و قدرنا فيها السير ،
سيروا فيها ليلى و أياما آمنين ، فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا و ظللوا
أنفسهم فجعلناهم أحاديث و مزقناهم كل ممزق ، إن فى ذلك لآيات
لكل صبار شكور (١) » .

(١) سورة سبأ - ١٥ - ١٩ .

سادتى و إخوانى ! إتنى سعيد ومقنبط برؤية هذه الوجوه
النيرة المشرقة التى اجتمعت فى بيت من بيوت الله لسماع حديث
من أخ مسلم ناءت به الديار و حالت بينهم و بينه البحار ، و لا
يعرفون عنه إلا ما قيل الآن و إلا ما عرفوه من خلال كتاباته
المتواضعة ، إن هذا إن دل على شئى فانه يدل على القوة التى لا
تزال كامنة فى الإخاء الاسلامى ، كامنة فى الرابطة التى تربط المسلمين
بعضهم ببعض ، على بعد الدار و حيلولة البحار و قلة المزار .

إخوانى ! إن الواقع أن الجو الذى أحدث فيه كان يفرض
على أن أبدأ بشئى يبشركم و يسركم و يسرفنى ، و لست الرجل
المتشائم - و الحمد لله - إنى بفضل الله تبارك و تعالى و بفضل هذا
الدين الذى أدين به و تدينون به ، قوى الثقة كبير الأمل فى نصر
الله تبارك و تعالى ، و فى صلاحية هذه الرسالة و خلودها ، و إنى
و الحمد لله متفائل و مستبشر ، و لكن قرأت هذه الآيات لتلقى منها
درساً ، و الرسول كان بشيراً و نذيراً ، و القرآن فيه البشارة و الانذار
و قد حكى الله سبحانه و تعالى حكايات الأمم السالفة و الحضارات
البائدة و المجتمعات المندثرة لتكون عبرة لنا جميعاً ، و لتلقى منها دروساً ،
و قد ضرب الله الأمثال و عرض النماذج المختلفة لأن فيها
عبرة و درساً .

وهذه الآيات التي تلوتها عليكم لها نسب جغرافي وتاريخي (١) - لا أقول نسب آخر - لبلادكم ، وهي موضع العبرة ، لا لكم أيها الإخوان اليمينيون ، بل هي موضع عبرة ودرس لكل مجتمع إنساني ، ولكل بلد مسلم وغير مسلم ، فان هذه الآيات تعرض علينا حقيقة عالمية خالدة ، حقيقة نفسية إنسانية ، حقيقة تستحق التأمل والدراسة ، هي حقيقة أن الانسان يسأم ويضيق صدره ويتخم من نوع واحد ، وإن كان هذا النوع النوع السامى الرفيع ، النوع الذي يهلك عليه ويتقاتل في سبيله العقلاء ، و الملوك و الأمراء .

ولكن من مواضع الضعف في الطبيعة الإنسانية أنه إذا خص بنوع خاص ، بنوع لذيذ عزيز ، كريم جميل ، و دام هذا النوع زمناً ، فانه يسأمه ويضيق صدره منه ، كما أن الانسان يتخم من ما كولات فيعافها ريزهد فيها . كذلك الانسان يتخم بالنعم و هذا الذي وصفه الله تبارك و تعالى بالكلمة البليغة « البطر » : « وكم أهلكتنا من قرية بطرت معيشتها (٢) » ، لم تكن فقيرة ،

(١) تقع مأرب عاصمة مملكة سبا في شرقي صنعاء على مسافة ١٧٣ كيلو مترا منها ، وكانت سبا هي أقدم الدول اليمنية القديمة ، وأخذها ذكرا ، ومنها تسلسلات أنساب حمير وكهلان .

(٢) سورة القصص - ٥٨ .

و لكن قد تضخم فيها الغنى وتضخمت فيها الثروات ، و توفرت وسائل الرفاهية والنعمة ، فبطرت معيشتها واشتهت نوعاً آخر ، و إن كان نوعاً قاسياً يزهّد فيه الانسان العادى الذى رزق سلامة الفطرة وصحة الفكرة ، و لكن من خصائص الانسان و من مواضع الضعف فى الفطرة الانسانية أنه إذا طال أمدّه بجو خاص و وضع خاص ، اشتهى نوعاً آخر ، و قال قد سمعنا هذا الرخاء و هذا التوسع فى المطاعم و المشارب ، و هذه النعم التى تغدق علينا صباح مساء ، و التى تنقلب فى أعطافها و تتأرجح فى أرجوحاتها ، و تتم فى ظلها ، لا حاجة لنا فى هذه النعم ، نريد تجربة أخرى ، نريد التقشف و المشقة و التعب .

هذا موضع ضعف فى الطبيعة البشرية ، كانت ولا تزال ، و قد حذر الله منها ، إنه دائماً يحث على الشكر على النعمة ، حتى يقول لرسوله الحبيب : « و أما بنعمة ربك فحدث (١) » ، « إن شكرتم لأزيدنكم و إن كفرتم إن عذابى لشديد (٢) » ، هنا قص الله علينا قصة قوم سبأ ، و قصة قوم سبا هى القصة الخالدة التى تصور جانباً دقيقاً عميقاً من جوانب الطبيعة البشرية يجب أن لا تتغافل عنها ، بل نعتبرها ، لأن الله سبحانه تعالى إنما قص علينا

(١) سورة الضحى - ١١ . (٢) سورة إبراهيم - ٧ .

القصص للاعتبار فقال : « لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شئ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون (١) » ، وقال : « فاقصص القصص لعلهم يتفكرون (٢) » ، وقال : « نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن (٣) » ، والقرآن ليس تاريخ الحضارة الانسانية ، إنه يقص علينا قصص الشعوب القديمة و الحضارات و المجتمعات الماضية لتكون لنا عبرة ، و لأن هنالك بمئات عجيبة ، هي موضع تأمل علماء النفس ، ورجال الحكمة وأصحاب الاختصاص في التاريخ البشرى ، و كذلك موضع دراسة و عبرة لقادة الأمم و الشعوب و الباحثين و الأساتذة الكبار ، إن الحكمة الالهية تعرض علينا صورة دافقة بالحوية بارزة الملامح والقسمات ، صورة بارعة تنطق بلسانها ، إلى أى درجة وصل قوم سبأ من السعادة والرغاء الذى يتمناه الانسان ، ويجاهد فى سبيله الفاتحون ، والمؤسسون للحكومات « لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية ، جنتان عن يمين وشمال ، كلوا من رزق ربكم واشكروا له ، بلدة طيبة ورب غفور ، فأعرضوا

(١) سورة يوسف - ١١١ .

(٢) سورة الاعراف - ١٧٦ .

(٣) سورة يوسف - ٣ .

فأرسلنا عليهم سيل العرم ، و بدلناهم بجنتهم جنتين : ذواتى أكل
نخط وأثل وشئى من سدر تليل (١) .

القرآن يضع أصبع الانسان على الوتر الحساس ، على موضع
الداء ، لماذا جاء هم هذا البلاء ، لماذا انتزع الله عنهم هذه السمادة
و هذا الرخاء العظيم الذى يتقاتل فى سبيله الملوك ؟ إن القرآن يضع
أصبع قارىء القرآن كما يضع الأستاذ أصبع تلميذه الصغير على حروف
الهجاء فى الكتاب ، فيقول تعالى : « وجعلنا بينهم وبين القرى التى
باركنا فيها قرى ظاهرة و قدرنا فيها السير ، سيروا فيها ليلالى
و أياماً آمنين (٢) » ، يقول المفسرون أن مساكن سبأ كانت لطيفة
الهواء حسنة التربة لا تحدث فيها عاهة ، ولا يكون فيها هامة حتى
أن الغرب إذا حلها وفى ثيابه قل أو براغيث ماتت ، وقد جعل
الله بينهم و بين الشام قرى ظاهرة . وجعل نسبة بعضها إلى بعض
على مقدار معين من السير ، فلا يحتاج مسافرهم لحمل زاد ولا ماء
ولا مبيت فى أرض خالية ولا يخاف من عدو ونحوه ، بل حيث
نزل وجد ماء أو ثمراً ويقل فى قرية و بيت فى أخرى بمقدار
ما يحتاج إليه فى سيره ، حتى أن المرأة كانت تمشى تحت الأشجار

(١) سورة سبأ - ١٥ - ١٦ .

(٢) سورة سبأ - ١٨ .

على رأسها مكمل أو زنبيل وهو الذى تخترق فيه الثمار فيساقط فيه
من الأشجار فى ذلك ما يملؤه من غير أن يحتاج إلى كلفة ولا قطف
لكثرته ونضجه و استوائه (١) .

و لكنهم سموها ما كانوا فيه من النعمة و الغبطة و العيش
الهنئى الرغيد و البلاد الرخية، و الأماكن الآمنة و القرى المتواصلة (٢) ،
فطلبوا تبديل اتصال العمران و فضلوا المفاوز و القفار ، و قالوا
أيش هذا السفر ؟ نقرأ فى كتب الرحلات (و إن كان زماناً
متأخراً قالوا فى رحلات سندباد البحرى و لكن الزمن متقدم)
أو نسمع عن الجوايين و الرحالين أنه كانت القوافل تمشى و تخاف
المغيرين و كانوا يأخذون الخريت و الحرس معهم ، و يحملون السلاح
لصياتهم و بعد ذلك يبيتون ليلال و يحرسهم الناس ، ثم يمشى واحد
و يأتى بالحطب و يشعل النار ثم يطبخ و يضع عليها القدر و يغلى ، ثم
يطبخ الطعام ثم يأكله ، نقرأ هذه الحكايات بلذة ، هذه كانت رحلات
فى الحقيقة ، رحلات هى تجارب و مغامرات ، رحلات فيها تنوع
و تفنن ، ينتقل الانسان من راحة إلى تعب ، و من تعب إلى
راحة ، نحن سمنا هذا ، نمشى فى ظلال الأشجار و نأكل من الثمار

(١) مستفاد من تفسير أين كثير و روح المعاني .

(٢) اللفظ لابن كثير .

بطريق تلقائي ، لا ، ما نريد هذا ، نريد الأسفار المتعبة ، نريد الصحارى الموحشة والأراضى القاحلة ، نريد المشقة ، نريد المغامرات ، نريد المخاطر .

هذا من ضعف الفطرة البشرية ، بدل أن يحمد و الله تبارك و تعالى على هذا و يقولوا فى هذا النعيم إلى أن يشاء الله ، طلبوا العكس قالوا « ربنا باعد بين أسفارنا (١) » كما أن الحجاج فى هذا العصر يقولون أيش هذا الحج ؟ أيش هذه الرحلات المتعبة ، نريد أن يعود الزمان الماضى و نركب الابل و يموت بعض الناس عطشاً لعدم وجود الماء ، لا لذة فى الحج الآن ، نريد تلك الأيام التى كان مات من الناس يموتون عطشاً فى عرفات و فى متى ، و كان يغير عليهم البدو .

فماذا كانت العاقبة ؟ عاقبهم الله سبحانه و تعالى يسلب هذه النعم كلها و بدل بها تلك الأسفار الشاسعة الخطرة ، « فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا ، وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث و مزقناهم كل ممزق » . هذه قصة ربما يتخيل الانسان أن هذه قصة بسيطة ، و ربما يشك فيها كثير من الناس ، كيف تسمح الطبيعة البشرية إلى هذا الحد ، هل تصل الطبيعة البشرية فى أمة متمدنة كقوم سبأ إلى

(١) سورة سبأ : ١٩ .

هذه النهاية، إلى هذا الخط من المسخ والاعوجاج و من الاعوجاج و الفساد ؟ ، تستبعد هذا، ولكن القرآن قد حكى لنا هذه القصة ، و القرآن هو كتاب الله و الرسول لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، لا يا إخوانى ! التاريخ يصدق هذا ، و الواقع يصدق هذا ، فهناك شعوب نعرفها أنعم الله عليها و أغدق عليها النعم و أمطر عليها شأيب من الراحة و الرخاء و من هذا الرخاء و من رغد العيش و هناك الحياة و لينها ، ولكنها عادت سئمة ضيقة الصدور من هذا الرخاء تريد الفقر و تريد المخاطر و تريد ضنك العيش و تريد تفرق الكلمة و تريد أن تجرب حياة قاسية ، حكى لى بعض الاخوان الثقات أن بلاداً سعيدة أكرمها الله بشئ كثيراً النعم و الخيرات ، قال بعض رجالها المثقفين لبعض زعماء البلاد التى أخذت بالنظام الاشتراكى و الشيوعى و هى بلاد فقيرة ، شيوعية منحرفة عن الدين و عن الخط السليم ، قال هؤلاء لهم : إن عندنا غنى و عندكم فقر ، عندنا دين و عندكم كفر ، اعطونا فقركم و نعطيكم غنا ، اعطونا كفركم و نعطيكم ديننا ، هذا حق ، سمعته أنا بطريق لا يشك فيه ، و هذا اعوجاج الفطرة البشرية كان و لا يزال ، و القرآن لا يتعرض لذكر شئ إلا و هو صالح للعودة و للبقاء ، أما الأمراض التى انقضت و لا تعود أبداً ما تعرض لها القرآن ، الذى يدرس القرآن دراسة عميقة

يعرف أن القرآن ما ذكر من مواضع الضعف في الفطرة أمراض الأمم البائدة و الشعوب المنقرضة الزائلة إلا ما هو من مواضع الضعف في الفطرة البشرية . وهو إما موجود و إما يعود .

فالقرآن يحكى لنا قصة سبأ ، إن الله الحكيم الخبير العليم يعرف أن هنالك شعوباً و هنالك مجتمعات تسلك نفس الخط ، تسلك نفس الطريق ، بطر ، بطر ، الله سبحانه و تعالى يعطيها ما تحتاج إليها و لكنها تكفر بنعمة الله ، وتريد البؤس و تريد الفقر و تريد المخاطر و المهالك و تريد القسوة و شظف العيش ، لماذا ؟ لا تخامها و سآمتها من هذه النعم و بتأثير الدعايات و بتأثير المغريات المضاللة و بتأثير العوامل الاجتماعية و العوامل الخارجية و السياسية ، تمنى أن تعود إلى الفقر و ضنك العيش و الضيق و الشدة ، كذلك سجل القرآن هذه الحكاية التي لا يحويها كثير من كتب التاريخ لأن سبيل كتب التاريخ غير سبيل القرآن ، أنها تعنى بالحوادث السياسية و تعنى بما يختص بالبلاد و بالملوك و بالوزراء و بالحروب و الغزوات ، أما ما كان في صالح الانسانية و ما كان فيه درس للدارسين و المعبرين فلا ، ولكن القرآن بالعكس من ذلك لا يعنى بهذه الحكايات ، حكايات تقلبات الأمم و تبدل الحكومات و الفتوح و الغزوات ، هذا موضوع التاريخ ولا بأس به ، ولكن القرآن يعنى بأمراض البشرية

يعنى بمواضع الضعف فى الطبيعة الانسانية ، يعنى بما فيه عبرة و ما فيه درس للانسان فى كل مكان و فى كل زمان .

ان الذى أخشى (أقول بصراحة) على المجتمعات الاسلامية الكثيرة هنا و فى آسيا فى شبه القارة الهندية و فى أوروبا و فى أمريكا هو البطر : « وكم أهلكتنا من قرية بطرت معيشتها فملك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا وكننا نحن الوارثين (١) » ، إتسافهم و نشهد و تؤمن بأن ما قاله القرآن هو حق و يمكن أن يرى فى مرآة الشعوب المعاصرة و بعض المجتمعات الموجودة .

إخوانى ! يجب أن نستعرض حياتنا فى ضوء القرآن ، يقول القرآن : « لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون (٢) » ، يعنى فيه الحديث عنكم ، فيه تصويركم ، كان سيدنا الأحنف بن قيس رحمه الله من أخص أصحاب سيدنا على رضى الله عنه و سيد قومه ، مرة جالساً ، إذا به يسمع إنساناً جالساً قريباً منه يقرأ القرآن ، فاذا هو يقرأ : « لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون » فانتبه ، كأنه كان نائمًا ، قال : « لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم » هل فى القرآن حديث عنى ؟ ، على بالمصحف على بالمصحف ، فحضر المصحف فصار يقلب الصفحات يفتحه من غير قصد ، فاذا به يمر

(١) سورة القصص - ٥٨ . (٢) سورة الأنبياء - ١٠ .

يقوم يقول الله تبارك وتعالى عنهم : « قد أفلح المؤمنون ، الذين هم في صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون (١) » ، قال اللهم لا أجد نفسي في هؤلاء ، و مر يقوم يصفهم الله تبارك وتعالى ويقول : « و عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً و إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً (٢) » ، قال اللهم لا أجد نفسي في هؤلاء ، أنا أصغر من هؤلاء ، ثم مر يقوم يقول الله تبارك وتعالى عنهم : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً و طعماً (٣) » ، قال اللهم إني لا أجد نفسي في هؤلاء ، ثم قلب الصفحات فاذا به يمر يقوم يصفهم الله تبارك وتعالى بصفات معاكسة فيقول : « ما سلككم في سقر ، قالوا لم نك من المصلين ، و لم نك نطعم المسكين ، و كنا نخوض مع الخائضين ، و كنا تكذب بيوم الدين ، حتى أتانا اليقين (٤) » ، قال اللهم إني أعوذ بك من هؤلاء ، و لكن أين أنا ، أين صفتي ؟ ، و يقبل الصفحات و يقاب ، حتى مر بقوله تعالى : « و آخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً و آخر سيئاً ،

(١) سورة المؤمنون - ١-٤ . (٢) سورة الفرقان - ٦٣ .

(٣) سورة السجدة - ١٦ .

(٤) سورة المدثر - ٤٢ - ٤٧ .

عسى الله أن يتوب عليهم ، إن الله غفور رحيم (١) . قال
اللهم إني هنا ، اللهم إني هنا .

هكذا يجب أن نقرأ القرآن ونستعرضه ونستفسره ونستوضحه
و نستوحى منه واقع الحياة و نبحث عن مكاننا في هذه المجموعة
من صور الأمم و من صور المجتمعات البشرية و النماذج الانسانية
- و القرآن مرآة و ضئمة نرى فيها وجهنا فنمسح ما فيه من
غبار و من تراب و من وصمات - و نعرف مواضع هذه
الوصمات فنغسلها .

إخواني ! أقول لكم ولا أريد أن أطيل عليكم يجب علينا أن
لا نبظر و يجب علينا أن نحمد الله على النعم ، و أن نضعها في
مواضعها الحقيقية ، لا نبظر ولا نكون كما يقول الله تبارك وتعالى :
« و إذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها
القول فدمرناها تدميراً (٢) » ، لانكون من المترفين و لا نكون
من البطرين و لا نكون من الجاحدين للنعم و لا من الكافرين بالنعم ،
و لا نكون من الذين يقول الله تبارك وتعالى عنهم : « ألم تر إلى
الذين بدلوا نعمت الله كفرأ و أحلوا قومهم دار البوار (٣) » ،

(١) سورة التوبة - ١٠٢ . (٢) سورة الاسراء - ١٦ .

(٣) سورة إبراهيم - ٢٨ .

هذا تبديل « بدلوا نعمة الله كفراً » كما قال بنو إسرائيل لما أنزل الله عليهم المن والسلوى وكان من أذى الأطمعة ، قالوا نتمنى القثاء والقوم ، والعدس ، والبصل : « و إذ قلتم يا موسى لمن نصبر على طعام واحد فادع لك ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها ، قال استبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير ، اهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتم (١) » ، هذه هى الطبيعة البشرية ، فاذا أنعم الله عليكم بالنعمة فارجعوا إلى الله تبارك وتعالى و احمدا الله على الموجود و اطلبوا منه المزيد ، و لكن لا تكفروا بنعم الله و لا تبدلوا نعمة الله كفراً ، و لا تورطوا فيما تورط فيه غيركم من الشعوب و البلاد ، فهم فى عذاب أليم و فى بؤس و شقاء و فى جحيم ، فأتهم كل نعمة حتى حرموا لقمة العيش و أصبحوا متشككين متذمرين متشامخين لا يثق أحد بأحد حتى لا يثق الأخ بأخيه ، و لا يثق الزوج بزوجه ، كل إنسان ينظر إلى أخيه بعين الشك ، حتى فى الحلوات لا يستطيع الانسان أن يبوح بما فى ضميره ، يرى يمينا وشمالا ، لعل الجدران تسمع ، ولعل هنالك مسجلا ، ويخاف أن تعد عليه الأنفاس . فيقال له أنت تنفست كذا كذا من الأنفاس ،

(١) سورة البقرة - ٦١ .

أصبح المجتمع مجتمعا معذباً منكوباً .

هذا الذى نخشاه على المجتمعات الاسلامية فى البلاد الاسلامية التى أكرمها الله بالأجداد والبطولات وبالصحابة رضى الله تعالى عنهم ووطنوا أرضهم ونشروا فيها الاسلام ، و ربطوا المجتمع بالاسلام ، و كان لهذه البلاد و لهذه المجتمعات دور عظيم فى تاريخ الاسلام و فى تاريخ الدعوة الاسلامية و فى تاريخ الفتح الاسلامية و شهد لهم العالم الاسلامى بالايان و الفقه و الحكمة و أكثر من ذلك ، شهد لهم الرسول ﷺ بالايان فقال . « أناكم أهل الين ، أرق أفئدة و ألين قلوباً ، الايمان يمان و الفقه يمان ، و الحكمة يمانية » أيستبدل المجتمع اليمانى من كل هذا بماذا؟ بالشك و الريب و الهمم و التعذيات و المضائقات و المحاكات و الاجلاء و النفى و التشريد و التفتيك و التقتيل ؟ ، فاحذركم عما حذر الله تبارك و تعالى فى القرآن فقال : « لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين و شمال ، كلوا من رزق ربكم واشكروا له ، بلدة طيبة و رب غفور ، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم و بدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل نخط و أثل و شىء من سدس قليل ، ذلك جزيناهم بماكفروا و هل يجازى إلا الكفور (١) » .

(١) سورة سبأ - ١٥ - ١٧ .

علينا بالمشى على الخط السليم الشرعى الدينى ، تتبع الشريعة
المحمدية الاسلامية الفراء ونحكمها فى حياتنا ، لانا نطالب بتحكيمها
فى الخارج ، و هذا صحيح ، و لكن نحكمها فى نفوسنا أولاً ،
نحكمها على رؤوسنا و فى نفوسنا و فى الحياة الداخلىة المنزلىة و بيننا
و بين أفراد أسرتنا و فى معاملاتنا الفردية و الاجتماعية ، هنالك
يقدر الله تبارك و تعالى تحكيم هذه الشريعة فى الحكم و المعاملات
و فى التجارة و فى الخارج ، لا ملجأ و لا منجأ لنا من الله إلا
إليه ، قد وصلنا إلى الدرجة التى وصفها الله تبارك و تعالى بقوله ،
« ضاقت عليهم الأرض بما رحبت و ضاقت عليهم أنفسهم و ظنوا
أن لا ملجأ من الله إلا إليه (١) » ، هذا الوصف الذى ينطبق
على كثير من البلاد الاسلامية ، فلا ملجأ من الله إلا إليه ،
ففروا إلى الله كما يقول القرآن .

أشكركم على هذا الاجتماع الكبير و الجم الغفير من المستمعين
الكرام و ادعو الله لى و لكم بالعافية ، يا إخوانى ! أطلبوا من
الله أن يوفقكم و يوفقنا جميعاً للشكر على النعم ، و تتعبدون من
البطر و من الكفر و الكفران بالنعم و من تبديل نعمة الله
بنعمة الله — و السلام عليكم و رحمة و بركاته .

(١) سورة التوبة - ١١٨ .

مِنْ مَعَانِي الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ

[معان اقتطفت من كلمة أقيت في مسجد سيدنا
عمر بن الخطاب بالزرقاء في عمان في ليلة
الاسراء و المعراج (٢٧ من رجب ١٤٠٤ هـ)
و محاضرة أقيت في جامعة اليرموك بالأردن في ٢٩
من رجب ١٤٠٤ هـ و كلية العلوم العربية في عمان
غرة شعبان، وكلها يدور حول الإسراء والمعراج
و المسجد الأقصى المبارك] .

بعد الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله :
« سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد
الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياته ، إنه هو السميع
البصير » (١) .

(١) سورة الاسراء آية ١ .

أيها الاخوة الكرام ! إن هذه الآية هي خير ما يفتح بها هذا الاحتفال في ليلة الاسراء والمعراج ، ونحن على غلوة سهم - على التعبير القديم - من المسجد الأقصى الذي أسرى بالرسول ﷺ إليه ، ومنه إلى السماء ، إن هذا الاسراء من مكة إلى القدس ومنه إلى السماء دل على معان عميقة بعيدة الأثر ، طويلة المدى في تاريخ النبوات والديانات و في المسيرة الانسانية .

فدل أولاً على أن شخصية الرسول تلتقي فيها الأرض بالسماء ، و الجزيرة العربية بأرض النبوات الأولى ، الأرض التي بارك الله حولها ، و يلتقي زمن النبوات الأولى بعهد النبوة الأخيرة ، فأى التقاء أكبر وأوسع وأجمل من هذا الالتقاء ، فالبشرية تلتقي بمصدر النبوات والهدايات السماوية ، و الأرض تلتقي بالسموات العلى ، إنه إذا انقطعت صلة الأرض بالسماء كانت هنالك متاهات وضلالات ، وسخافات و سفالات ، فوصل الله الأرض بالسماء بنبوة محمد ﷺ والاسراء به ، فهذه الأمة أمينة لهذا الاتصال ، أمينة لهذا الالتقاء الأرضي و السماوي ، و الزمني و المكاني ، القاضى على الحدود الجغرافية ، و الحواجز المكانية ، و الفوارق الزمنية و الاعتبارية العنصرية و الجنسية ، و يجب أن يتجلى هذا الالتقاء الكريم الفريد في كل مناهج حياتها ، في حضارتها واجتماعها ، و في علمها وتفكيرها ،

و في فلسفتها و أدبها ، و في خيالها و جمالها .

و فوق ذلك إن سورة الاسراء إعلان بأن بني إسرائيل قد فقدوا الجدارة والصلاحية للهداية الربانية ، وتقلد الزعامة الدينية ، و قيادة البشرية ، لما أصابهم من أمراض خافية ، و انحرافات عقائدية ، دينية روحية ، باطنة و ظاهرة ، فهذه السورة فصل و فارق بين عهد و عهد ، و بين زمن و زمن ، لذلك سميت سورة بني إسرائيل كذلك ، إن بني إسرائيل قد فقدوا - على مر الزمان - الصلة الوثيقة العميقة بالانسانية ، ومصيرها و وضعها ، و مشكلاتها و حلولها ، و التفكير الانساني الرحيم الرقيق ، بالعكس عكفوا على السلالة يقدسونها و ينظرون إلى كل قضية من قضايا الانسانية من زاويتها ، و يزنونها بموازين تعود على السلالة بالنفع و القوة ، والله رب العالمين ليس رب بني إسرائيل فقط ، فعزلوا عن المنصب الذي قلده قروناً عديدة ، وأختيرت له الأمة التي بعثها الله سبحانه و تعالى مع النبي الموعود الأخير محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي القرشي العربي ﷺ . الأمة التي عهد إليها نشر عقيدة التوحيد الصافية ، والأخوة الانسانية ، والمساواة البشرية ، فأعلن القرآن في لفظ صريح واضح : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوباً و قبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله

أنتقامكم ، (١) ، و نادى رسول الله ﷺ في الحج الأكبر :
« إن ربكم واحد و إن أباكم واحد ، لا فضل لعربي على عجمي
و لا لعجمي على عربي ، و لا لأبيض على أسود و لا لأسود
على أبيض ، إلا بالتقوى » (٢) .

و لما كان ذلك تحولاً كبيراً من أعظم التحولات في تاريخ
الديانات ، و في تاريخ مصائر الأمم ، و في تاريخ الوقائع البشرية ،
كان هذا الحدث العظيم جديراً بأن يطلب الله النبي الكريم إلى
السموات العلى ويسلمه منصب القيادة بطريق مباشر ويشرفه بالقرب
و التكريم الذي لم يتلق به أحداً من قبله .

إخواني ! إن اليهود لا مستقبل لهم إذا كان الله حكيماً
رحيماً ، و إذا كان الله رب الأجيال البشرية كلها و رب العالمين ،
لا رب خراف بني إسرائيل الضائعة ، فلا مستقبل لليهود أبداً
و لو فتحوا العالم كله — لا قدر الله — لأن اليهود أمة تقوم على
تقديس العنصر و السلالة ، أمة تقوم على الحقن للبشرية و التاريخ
كله ، أمة تقوم على الأحلام و الأمانى السلافية و الشعبية فقط ،

(١) سورة الحجرات - ١٣ .

(٢) ابن النجار عن أبي سعيد بزيادة بعض الكلمات (الجامع

الكبير للسيوطي) .

و لا شأن للانسانية بهذه الأمانى و الأحلام ، إن حاجة الانسانية
أمة تقود البشرية كلها و تربط مصيرها بمصير البشرية ، لأن الله
سبحانه و تعالى لم يخلق الجيل البشرى لىكون عبداً لسلالة خاصة ،
هذا ما لا يسوغه و يسيغه عقل بشرى ، فكيف بالله تبارك و تعالى ،
إن اليهود ليست لهم أصول و لا جذور فى الأرض ، إنما هو شئ
طائف على سطح الماء

إن الاسراء أيها الاخوان لم يكن لىكون عيداً فى الأمة يحتفل
به كل عام ، إن الاسلام ليس دين الأعياد كما هو الشأن فى
ديانات أخرى ، فانها تقوم على الأعياد و المهرجانات ، و الأيام التى
تحتفل بها ، و إذا أخذ كل عيد تحتفل به طائفة من طوائفها ،
كانت أيام السنة كلها أعياداً و مواسم ، و الأعياد هى التى تربط
المجتمعات فى هذه البلاد بالديانات ، فلولا هذه الأعياد و المهرجانات
لضاعت الديانات و نسيت ، فانهم يجتمعون فى هذه الأعياد
و يذكرون ما عندهم من عادات ، و طقوس و عبادات ،
فيقيمونها ، و بذلك ينظم شملهم .

إن الاسراء لاشك خاص بالرسول ﷺ ، و لكنه سمو
للانسانية عن طريق محمد ﷺ ، إن الله تبارك و تعالى قد ضرب
مثالاً - و إن كان هذا المثال مختصاً بالرسول الأعظم ﷺ - ولكنه

نبي بشر، فيشير إلى أن هنالك يبلغ البشر وإن كان مرة واحدة،
و لكنه هو البشر الذي وصل، ولم يبلغه غير البشر، هذا يثير
فينا السمو، و يثير فينا الثقة بالإنسانية و كرامتها .

و الشيء الثاني أن هذا الدين مرتبط بالسماء، مرتبط بارادة
الله تبارك و تعالى، ليس مرتبطاً بالتجارب البشرية، ليس مرتبطاً
بالعقل البشرى، ليس مرتبطاً بالمجهود البشرى، بل مصدر هذا
الدين هو السماء .

و المعنى الثالث أن سورة الامراء ثبت أن هذه الرسالة
عالية إنسانية، فاذا كانت غير هذا ودون هذا، لما طلب محمد ﷺ
من جزيرة العرب - وهو نائم في مكة - إلى القدس، ثم إلى
السموات العلى، إن اتصاه أولاً بالأرض المقدس بفلسطين، التي
هي بعيدة من جزيرة العرب، ثم اتصاه بالسماء، يدل على أن هذه
الرسالة عالية إنسانية آفاقية ليست محصورة في جزيرة العرب،
و إلا أى حاجة دعت إلى أن يطلب الله رسوله إلى القدس أولاً
ليصلى هناك بالأنبياء عليهم السلام، ثم يطلبه إلى السموات؟، فنعرف
أن مركزنا أكبر مما نحن فيه، و إن مسؤوليتنا أضخم
مما نضطلع بها، إن هذا البلد هو أصغر منا، و إن البلاد مهما اتسعت
بل إن الأرض كلها، أصغر من شخصيتنا، نحن أمة الرسالة، نحن

أمة الهداية ، نحن أمة العالم وأمة الانسانية ، لسنا عرباً ولا عجماً ،
لسنا أردنيين وسوريين ، وفلسطينيين وهنوداً وباكستانيين فحسب ،
نحن أمة نبي الاسراء و المعراج ، الذى انعدمت فيه الأبعاد
والمسافات ، والحواجز الجغرافية والاعتبارات السياسية ، والفوارق
الجنسية .

هذه كلها معان و حقائق نستطيع أن نتلقاها و نتعلمها من
ثنايا سورة الاسراء التى ضمنها الله القرآن الكريم الذى يدوم ويثبت
إلى أن يرث الله الأرض و من عليها .

أهنتكم أيها الاخوان على ليلة الاسراء و المعراج ،
و أنتم على مقربة من مكان الاسراء و المعراج ، و تقرب
الزمان و المكان أثر و معنى ليس فى البعد ، فكيف إذا التقى
قرب المكان بجلول الزمان ؟ ، لقد أدركت ليلة الاسراء و المعراج
بعد ما عقلت أكثر من خمسين مرة ، و لكنها هى المرة الأولى
التى تصادفتى فيها أو أصادفها ، على قرب من مكان الاسراء
و المعراج ، فأثار ذلك فى نفسى معانى و أحاسيس جديدة لم يكن
لى عهد بها ، وفتحت لى نوافذ جديدة لتفهم معانى الاسراء و المعراج ،
و التأمل فى سورة بنى إسرائيل ، و الحنين إلى المسجد الأقصى
و الصلاة فيه ، و الشوق إلى أن أراه فى مكانه الطبيعي التارىخى

العالمى ، وفى أيدى الوارثين للرسالة الأخيرة ، المؤمنين لجميع الأنبياء ،
الغيارى على رسالاتهم وأماناتهم ، المحبين للإنسانية كلها ، المجاهدين
فى سبيل إسماعيلها و النهوض بها ، وحق لى أن أتمثل ببيتى الشاعر
العربى القديم متمثلاً للمسجد الأقصى المبارك ، و أنا على مقربة منه
فى عمان :

و لما نزلنا منزلاً طله الندى أنيقاً و بستاناً من النور حالياً
أجد لنا طيب المكان وحنينه منى فتمنينا فكنت الأمانياً
إن القضية فى إنقاذ فلسطين ، قضية العقيدة وقضية الأخلاق ،
قضية العزم الصادق ، فإذا صحت العزائم و صدقت القلوب ، زال
اليهود كما يتقشع الضباب ، نحن فى حاجة إلى تربية جديدة ، تربية
إسلامية ، إلى عقيدة كأنها عقيدة جديدة ، لسنا فى حاجة إلى دين
جديد - حاشا لله - ولكننا فى حاجة إلى إيمان جديد ، إذا كانت
الأحوال غير عادية احتاج الإنسان فيها إلى إيمان غير عادى ، إلى
إيمان قوى عميق ، إلى إيمان حى دافق ، إلى إيمان إذا لم يكن
إيمان الصحابة رضى الله تعالى عنهم فليكن إيمان صلاح الدين الأيوبي ،
وكثير من الجنود التى قاتلت تحت رأيته ، يقول القاضى بهاء الدين
المعروف بابن شداد عن صاحبه صلاح الدين الأيوبي .
« إنه تاب عن المحرمات و ترك المملذات ، و رأى أن الله

سبحانه و تعالى خلقه لأمر عظيم لا يتفق معه اللهو و الترف ،
وكان رحمه الله عنده من القدس أمر عظيم لا تحمله الجبال . وكان
كالفاقة ولدها ، الثاكلة واحدها (١) .

هنالك تبرز من أطماركم وأجسادكم شخصيات جديدة تفتز من
الداخل و تفاجئى العالم ، وقد وقع ذلك مراراً فى التاريخ
الاسلامى ، فاذا أظلمت الآفاق ، و إذا غارت النجوم ، طلع نجم
جديد على أفق العالم الاسلامى ، هكذا كان و هكذا سيكون
إن شاء الله .

قد قلت بالأمس إذا كان هنالك استفتاء عام فى العالم الاسلامى ،
استفتاء حر عن الرجل المطلوب المحتاج إليه اليوم فى العالم
الاسلامى ، كان الجواب الوحيد صلاح الدين الأيوبي ، فيجب أن
تشوف نفوسكم لهذا المنصب الرفيع ، و قد جاء فى حديث خير
أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر : « لياخذن الرؤية غدا رجل يحبه
الله و رسوله ، يفتح عليه » ، فتطاول له كبار الصحابة رضى الله
عنهم ، ومنهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، كل منهم يرجو أن
يكون صاحب ذلك ، و دعا علياً كرم الله وجهه فكان على يده

(١) النوادر السلطانية ص / ١٥٥ ، ويرجع إلى ص / ١٦ - ٢١٣ .

الفتح (١) ، و الله سبحانه و تعالى يقول : « كلا نمد هؤلاء
و هؤلاء من عطاء ربك و ما كان عطاء ربك محظوراً (٢) » .

و لابد لذلك أن تنشئ نفوسنا على التشف و تحمل المشاق
و على الشدة و الجلادة و الفيرة الايمانية ، و لإيثار الآخرة على
العاجلة ، و الاستمانة بالحياة الدنيا و زخارفها .

وأختم حديثي بييتين للزركلي ، مخاطباً للأمة العربية الاسلامية :

هاتى صلاح الدين ثانية فينا

و جددى حطين أو شبه حطينا



(١) الرواية في صحيح البخارى و صحيح مسلم في باب غزوة خيبر .

(٢) سورة الاسراء - ٢٠ .

الشخصية الإسلامية ووجوب المحافظة عليها

[معان التقطت من محاضرة أقيمت في جامعة اليرموك بأربد ، سلخ رجب ١٤٠٤ هـ ، وكلمة أقيمت في كلية العلوم العربية في عمان غرة شعبان ، وكلها تدور حول الشخصية الإسلامية ووجوب المحافظة عليها ، وأهمية الحضارة الإسلامية] .

بعد الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله :
أما بعد ! إخواني وإخواناتي ! يسعدني و يشرفني أن أتحدث اليوم في قاعة جامعة اليرموك (١) ، الجامعة التي اقترن اسمها باسم

(١) سميت جامعة أربد بجامعة اليرموك ، اقرب ميدان اليرموك من هذا البلد ، فاذا ترك الماشي أربد بجانب وواصل سيره إلى الحدود الشمالية حتى يصل إلى المنطقة الجبلية ووقف في قرية «أم القيس» استقبلته مرتفعات الجولان ، و ما بينه وبينها إلا واد عميق يجري فيه نهر اليرموك منعطفاً ملتوياً و على ضفافه ميدان اليرموك .

أكبر معركة في تاريخ الخلافة الراشدة ، المعركة الحاسمة الفاصلة في التاريخ ، التي نستطيع أن نقول أنها غيرت مجرى التاريخ ، إنه يلذلى و يشرفنى أن أتحدث في هذه الجامعة العزيزة المنسوبة إلى اليرموك ، الجامعات كثيرة في العالم و بلادى التي انتمى إليها هي مليئة بالجامعات ، و لكن هذه الجامعة بانتسابها إلى اليرموك حبيبة إلى نفوسنا ، فلها صلة عميقة متغلغلة في أحشاء المسلمين ، مالكة عليهم المشاعر و العواطف تدل على ذلك الحكاية التي أحكيها لكم في مفتح هذه المحاضرة .

لئنى لما دعيت لالقاء المحاضرات في كلية الشريعة التابعة لجامعة دمشق ، و ذلك سنة ١٩٥٦م و الفضل في ذلك يرجع إلى العلامة الفاضل مرشد الاخوان المسلمين في سوريا صديقنا الجليل الدكتور مصفى السباعى عليه رحمة الله ، فأزلىنى الدكتور مصطفى السباعى عميد الكلية في فندق اليرموك ، و أعتقد أنه كان تقديراً من الله من غير تخيير كبير ، فكتبت كتاباً إلى أحد المؤلفين الباحثين الكبار في شبه القارة الهندية ، قد أشرى المكتبة الاسلامية الهندية بمؤلفاته و بحوثه ، و كان رئيساً للقسم الدينى في الجامعة العثمانية في حيدر آباد (١) ، و كتبت فوق الرسالة « من فندق اليرموك »

(١) هو العلامة السيد مناظر أحسن الكيلانى (مسنه ١٩٥٦).

و صادف وصول هذا الكتاب وجوده في المستشفى ، فقد كان يعانى من الذبحة الصدرية ، وكان رهين الفراش ، وكان هو مرضه الأخير الذى مات فيه ، فلما وصله هذا الكتاب واطلع على عنوان الكتاب « فندق اليرموك » كتب إلى يقول : « لئن كنت مريضاً تنتابى أوجاع القلب و كنت رهين الفراش لا أستطيع أن أنهض و لكى لما جانى كتابكم نفخ فى روحا جديدة ، و كدت أرقص طرباً لقرأة اسم اليرموك (١) ، فقد حضرتى الذكريات الجميلة

(١) ميدان معركة اليرموك جزء من حوران ويشمل القسم الغربى منه ، كان عدد المسلمين أربعين ألفاً (٤٠٠٠٠) ، و بلغ عدد جيوش الروم إلى ما يقرب ٢٤٠ ألفاً أى سنة أمثال أعداد المسلمين ، اشتد الهجوم الإسلامى فى الوقت المناسب و بدأ التراجع الرومى حتى لم يبق أمامهم سوى وادى نهر اليرموك السحيق و وادى الرقاد العميق ، وكلاهما لا يمكن عبوره ، فبدأوا يلقون بأنفسهم فيها فراراً من القتل ، وكان هذا فى وادى (الرقاد) إلى الغرب من (الواقصة) حتى عرفت تلك المنطقة بـ (هوة الواقصة) وكان مجموع من قتل من الروم ما يقرب من خمسة و ثلاثين ألفاً و نجوا الباقون فارين جرحى أو مهضى الجناح بسبب وقوعهم فى الأودية و تسلقهم من جهات متعددة ، (ملخصاً من كتاب « ميدان معركة اليرموك » للإستاذ محمود شاكراً) .

الحلوة ، تلك الذكريات المشرفة للإسلام و المسلمين دائماً حين كان
الأعداء يترامون في وادي الواقصة و كنا نتقدم والدنيا تتقهقر ،
ثم انقلبت الدائرة علينا ووقع ما وقع ، فكادت أغلب على أمرى ،
و أخالف تعليمات الأطباء و أرقص و أطرب و أبكى .

هكذا كان أثر اليرموك في نفوس العلماء الكبار ، في نفوس
الباحثين المؤلفين في بلاد نائية عن هذه البلاد و عن هذه البقعة
المباركة آلافاً من الأميال ، و أذكر أنه كان من الأعراف الشائعة
و من العادات المنتشرة في أسرتنا ، أنه إذا وقع هناك حادث
مفجع مثل موت بعض أعضاء الأسرة - حماكم الله وبارك في حياتكم
و حياة الجميع - كان الطريق الوحيد للتسلية ، والتغلب على الأحزان
الشخصية و العائلية ، قراءة الملحمة الإسلامية التي نظمها أحد أفراد
أسرتنا ، و هو عم والدى رحمه الله تعالى (١) ، فقد نقل كتاب
« فتوح الشام » للواقدي إلى الشعر الأردى نظماً ، فتضمنت هذه
الملحمة خمسة و عشرين ألف بيت (٢٥٠٠٠) و كله في حماس
إسلامي كأنها نار متأججة من الحماسة الإسلامية و الشعر الإسلامي
و الفيرة الإسلامية ، و كنت طفلاً صغيراً و كنت أتردد إلى هذه
المجالس للسيدات و فيها أمى ، فأرى الدموع تنهمر من العيون

(١) و هو السيد عبد الرزاق الحسنى رحمه الله .

و الايمان يتجلى في وجوهن المشرقة و في قلوبهن الرقيقة ، و كنت
لا أفهم هذا المعنى لأننى في الرابعة من سنى أو الخامسة أو السادسة .
كن يسمعن أخبار الغزاة فى معركة اليرموك و فيهم السيدة خولة
بنت الأزور رضى الله تعالى عنها ، كن ينسين حزنهن و كن
يشتريكن فى هذه المعركة حماساً إسلامياً وإيماناً ، كن يستحضرن فداء
المسلمين فى سبيل الايمان ، و فى سبيل الدين ، فكن يستقلن ما أصاب
العائلة من حزن و من كآبة .

و أحلف لكم صادقاً أيها الاخوة و الأخوات ، أن لهذه
المحمة فضلاً كبيراً فى صدور المسلمين الهنود فى المعارك الدعوية
و المعارك الثقافية و الحضارية ، و القومية و الشعبية ، إنما ساعدهم
على هذا . . . و على الرباط فى سبيل الله ، و الاحتفاظ بالشخصية
الإسلامية ، هو مثل هذه الملاحم التى كانت تقرأ و تنشد فى مناسبات
عائلية ، فكان المسلمون و لا يزالون يستمدون منها الايمان العميق
و العاطفة الجياشة ، يستمدون الحماس المتأجج ، يستمدون الثقة العميقة
الشاملة من هذه الملاحم التى نظمها بعض شعرائنا و حكوا فيها
معارك و غزوات خاضها المسلمون و خاضها الصحابة رضوان الله
تعالى عليهم أجمعين بصفة خاصة ، فأنا أستحضر هذه الذكريات ،
و أنا واقف أتحدث إليكم أيها الاخوة و الأخوات فى هذه القاعة فى
جامعة اليرموك .

أريد أن أقول لكم أن فتوح الصحابة و بطولتهم و حماسهم لم تتجل في الانتصار في معركة اليرموك فقط ، وإن كانت معركة فاصلة ، كانت النسبة بعيدة بين عدد المسلمين و بين عدد أعدائهم من الرومان أو أهل الشام ، فيكاد المؤرخون يطبقون على أن عدد المسلمين كان لا يزيد على أربعين ألفاً و عدد الرومان قد بلغ مئتي ألف و أربعين ألفاً (٢٤٠٠٠) ، إنها حقاً انتصار رائع قد ظهرت فيه بطرلة سيدنا خالد بن الوليد ، و سيدنا أبي عبيدة بن الجراح و عمرو بن العاص و شرحبيل بن حسنة و يزيد بن أبي سفيان و الضرار بن الأزور ، و السيدة خولة بنت الأزور و غيرهم من الصحابة رضى الله عنهم ، و لكن عبقرية الصحابة رضى الله عنهم قد تجلت بأروع شكل و في أجلى مظهر في المعركة المعنوية التي قامت في ذلك الحين بين الصحابة رضى الله تعالى عنهم و بين الحضارة الرومانية و الحضارة الساسانية الإيرانية ، الحضارتان اللتان قد ضربتا الرقم القياسي في الأناقة و في الرقة و في الخيال ، ووجه الصحابة رضى الله عنهم و هم نشأوا في صحراء العرب القاحلة الجردية بشكل عام ، نشأوا نشأة صحراوية في الأخبية و الخيام و على متون الخيل و ظهور الابل ، لم يجرب هذه الحضارة الراقية إلا بعض من دخل بلاد الروم و بلاد فارس ، إنهم نشأوا نشأة

محدودة قاصرة ، يلتفون الأرض ، و يقتاتون بلحوم الابل
 ويسكنون في الخيام أو في بيوت متواضعة بذيت باللبن ، أنها كانت
 محنة عظيمة أيها الاخوان ، إنهم لما خرجوا من الجزيرة ليلغوا
 رسالة الله و ليخرجوا الناس على حد تعبير أحدهم و هو سيدنا
 ربى بن عامر رضى الله تعالى عنه ؟ « ليخرجوا الناس من عبادة
 العباد إلى عبادة الله وحده ، و من ضيق الدنيا إلى سعتها ، و من
 جور الأديان إلى عدل الاسلام » ، لما خرجوا بهذه الرسالة
 واجموا حضارتين معقدتين راقيتين من أرق الحضارات البشرية التي
 عرفها التاريخ ، وقد كتب لها تين الحضارتين عدة قرون لتتقدما في
 مضمار الرقى و مضمار الآداب و الشعر و الخيال و الصناعة ، وقد
 رقت حواشيهما و طالت ذيوههما وبلغتا درجة الخيال كأن الانسان
 يقرأ « حكايات ألف ايلة و ليلة » كان واحد منهم إذا لبس
 وانتطق بمنطقة قيمتها دون مائة ألف كان يعير ، كانت تتفاداه العيون
 و تزدره ، و كان إذا لبس قلنسوة قيمتها أقل من خمسين ألف
 أو من مائة ألف درهم بالعملة الفارسية كان يحقر ، و كان
 لا يستطيع أن يجلس في جوار أمير من الأمراء ، و تستطيعون أن
 تعرفوا مدى ما وصلت إليه المدنية الفارسية أن يزدجرد آخر
 ملك فارس لما اضطر إلى أن يغادر بلاده فاراً بحياته ، أخذ معه

ألف طاه ، و ألف مفرج و ألف مرب للصقور و كان يستقل
هذا ، و يقول يا ويلتاه ، يا حسرتا ا . أحمل هذه القلة من
الطهارة و من المغنين و من مربى الصقور ، كيف أعيش ؟ .
واجه الصحابة رضى الله عنهم هذه الحضارة الراقية الرقيقة
الخيالية و هم أبناء الصحراء ، و تستطيعون أن تستحضروا البيوت
البعيد و المسافة الشاسعة بين تجاربهم الحضارية و مدركاتهم
الذهنية ، و بين ما بلغت إليه هاتان الحضارتان الراقيتان ، بما روى
أنهم رأوا خيراً رفاقاً في بعض المناسبات والولائم لحسبها مناديل
فأخذوها في أيديهم فاذا هي أرغفة ، ما كانوا يعرفون أن الخبز
يكون في هذه الدرجة من الرقة و الأناقسة ، و لما رأوا الكافور
حسبوه ملحاً فاستعملوه في الطعام فاذا هو شيء لم يجربوه .

لأنى لا أقل من شأن معركة اليرموك أبداً ، و أنا أعيد
سمى و بصرى و اسافى من أن أستصغر شأن اليرموك ، و لكن
المعركة الكبرى هي المعركة الحضارية ، فقد كان الصحابة رضى الله
عنهم بدائيين ، و كانوا كأنهم في طفولة من الحضارة و من
المدارك العقلية ، و لكنهم استطاعوا أيها الاخوان أن يحتفظوا
بشخصيتهم الاسلامية القوية إزاء هذه الحضارات ، و في هذه
المعارك الدقيقة ، و ما فقدوا شيئاً من عاداتهم الاسلامية العربية

وما ذابوا وما انصحروا في بوتقة المدنية القوية التي أصهرت عناصر كثيرة ، و لم يحتفظوا بشخصيتهم الإسلامية العربية فحسب بل استطاعوا أن يحتفظوا بمدنيتهم العربية ، وبحضارتهم الإسلامية ، وبقوا على ذلك سبعة قرون إلى أن جاء المغول و التتار ، و ذلك في القرن السادس الهجري ، و كانت هنالك المدنية الإسلامية قائمة في بغداد و في العراق ، و في المملكة الإسلامية الممتدة إلى خراسان و تركستان ، و قد خضع التتار للإسلام بعد فترة قصيرة من الزمن للإسلام ، دعوة و عقيدة ، و للحضارة الإسلامية و آدابها و ثقافتها .

أما نحن فقد ابتلينا بالمدنية الغربية مدة ستين سنة أو سبعين سنة أي بعد ما مضت الحرب الأولى و ذلك في سنة ١٩١٨ م ، نحن ابتلينا بالحضارة الغربية مدة نصف قرن و لكننا لم نستطع أن نحافظ على حضارتنا الإسلامية .

إن علماءنا في الهند ظلوا يحشون أهل البلاد المسلمين على المحافظة على العادات الإسلامية الأصيلة العربية ، كما جاء ذلك في وصية حكيم الإسلام الإمام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي من رجال القرن الثالث عشر ، يقول : حافظوا على عاداتكم الإسلامية العربية ، و ظلوا متمسكين بالثقافة العربية شعراً و نثراً ، و صرفاً

و نحواً و بلاغة و ظلوا مرتبطين بالجزيرة العربية ، وظلوا متمسكين بحب الرسول ﷺ ، لا تضعفوا في ذلك ، إن سعادتنا منوطة باعتزائنا إلى الدين الاسلامي العربي و اعتزائنا إلى العادات الاسلامية العربية ، و بجنا الزائد بالمصطفى ﷺ يجب أن لا تنقطع هذه الصلة ليوم من الأيام عن مركز هذا الدين .

قارنوا أيها المستمعون الفارق و البون الشاسع بيننا و بين المسلمين القدامى ، إنهم واجهوا حضارة كانت أرقى من الخيال و واجهوا التنظيم السياسي الادارى الدقيق ، و القضايا المعقدة في إدارة المدن الكبيرة و في حماية البلاد ، و في قيادة الجيوش الجرارة ، و لكنهم بفضل الاعتزاز بالشخصية الاسلامية ، و بفضل الايمان العميق ، و بفضل ثقتهم بتعاليم الاسلام استطاعوا أن يظلوا محتفظين بشخصيتهم الاسلامية ، بل بالشخصية القيادية العالمية ، و قطعوا قروناً على مدار التاريخ الطويل ، بقوا متمسكين بالاسلام ، لا يعدلون بالاسلام ديناً ، و لا يعدلون بالحضارة الاسلامية حضارة ، و لا يعدلون بالثقافة العربية ثقافة ، و لا يعدلون بالمجتمع الاسلام مجتمعاً ، لم يذوبوا كالمح أبدأ في ماء الحضارات الأجنبية ، هذا درس نستطيع أن نتلقاه من معركة اليرموك ، فكانت المعركة الفكرية ، المعركة الحضارية المعنوية ، أكثر تعقداً و أكثر خطراً من معركة اليرموك .

كثير من المؤرخين يستغربون و يشكون في صحة الحكاية التي رواها الطبري في تاريخه المشهور الموثوق به ، إن المسلمين في قيادة سيدنا سعد بن أبي وقاص رضى الله تعالى عنه لما بلغوا إلى نهر دجلة وأرادوا أن يعبروها ليصلوا إلى المدائن عاصمة الفرس ، وجدوا أن القناطر قد أزيلت ، وأن السفن قد أبعدت وأن دجلة ترمى بالزبد ، والعرب على فروسياتهم كانوا بعيدين عن السباحة ، لأن بلادهم ليس فيها نهر ، فكانوا يحسنون ركوب الخيل ، ولا يحسنون ركوب النهر ، فضلا عن البحر ، إنهم لما وصلوا إلى الشاطئ وقف سيدنا سعد بن أبي وقاص رضى الله تعالى عنه هنيئة و استعرض الواقع الجدي المرير ، نظر إلى سيدنا سلمان الفارسي لأنه ابن البلد وهو فارسي ، فقال ماذا ترى يا سلمان ؟ هل نعبر و نتوكل على الله ، أم نقف و ننتظر السفن أو نصل بطريق آخر ، فقال سلمان الكلمة الحكيمة الخالدة التي لا يوجد لها نظير في تاريخ الديانات ، أنه أسلوب تفكير جديد ، و منطلق فريد ، ماذا قال ؟ ، إنه قال : يا سعد بن أبي وقاص إن هذا الدين الجديد ، و أتى لا يستغرب و استبعد أن يفرق هذا الدين وحملة هذا الدين في نهر ، إن لله إرادة و إن لله حكمة في بقاء هذا الدين حتى يفتح العالم ، فكيف يفرق أهلها الذين يحملون رسالته في هذا النهر ، هذا النهر لا يتحول عن فطرته ،

و الدين يتحول عن فطرته؟ هذا النهر شغله الاغراق ، و هذا الدين شغله إنقاذ الانسانية من أحوال السفالة ومن أحوال الوحشية ، و من أحوال الوثنية و الشرك ، فكيف أصدق أن هذا النهر يتغلب على هذا الدين مع أن مصير الانسانية مرتبط بهذا الدين ، و ليس مرتبطاً بهذا النهر ، فكيف نسلم أن هذا النهر الصغير الذى يستطيع طفل صغير يعرف السباحة أن يعبره - إذا كان هناك معبر - هذا النهر الصغير يتغلب على هذا الدين الكبير الذى جاء به محمد ﷺ؟ ، والله لا أصدق، إن هذا الدين الجديد ، وأمامه شغل طويل ، أمامه مسافة طويلة ، مسافات بشرية ومسافات حضارية ، مسافات دينية ، فكيف أصدق أن سفينة هذا الدين ستغرق فى هذا النهر الصغير ، لا ولكن انظر فى جيشك هل انتشرت فيه الذنوب أم لم تنتشر ، أما إذا انتشرت فيه الذنوب فلا أستطيع أن أقول اتنا سننجح واتنا سنصل إلى البر والشاطئ الآخر بسلام ، أما إذا كان الجيش محافظاً على سلامته ، على صفاته ، وعلى جذوة إيمانه ، وعلى صفاء قلبه ، وعلى صفاء صحيفة أعماله ، فانتى بثقة بأننا سنعبر هذا النهر و إن كنا لا نعرف السباحة .

هنالك أمر سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه جيشه ، بسم الله تتوكل على الله و عبروا النهر ، و كانوا يتكلمون فيما بينهم كأنما

يمشون على البر (وهذا لفظ الطبرى) يحكى الطبرى ما قاله الفرس
بالنص قالوا « ديوان آمدند ديوان آمدند » جاء العفاريث ، جاء الجن ،
هذه قصة يرويها المؤرخ الطبرى ، وهو مؤرخ أمين ، و العرب
عرفوا بالأمانة فى التاريخ أكثر من كل أمة .

و لكن أغرب من هذا أن المسلمين عبروا دجلة المادية ،
عبروا فرات المدينة من غير أن تبطل ذيوهم فيها ، وهذا أروع
وأغرب ، ونحن على البر ، لكننا فقدنا الشئ الكثير من مقومات
شخصيتنا من مقومات حضارتنا ، ولو لا الخطوط العريية الجميلة على
اللافتات والألواح ، و لو لا الأذان المدوى على منائر المساجد
- حماها الله تعالى وصانها - لما استطاع الرجل الذى جاء بالطائرة ونزل
بالأسواق أن يفرق بين مدينة عريية و مدينة افرنجية إلا بصعوبة .

فأقول لكم نحن فى معركة حضارية ، ثقافية ، معنوية ، فكرية ،
فعلينا أن نصمد أمام هذه الهجمات ، أمام التحديات المعاصرة ،
التحديات المدنية ، و التحديات الفكرية ، و المسلمون بقوا سبعة
قرون تقريباً ، محافظين على شخصيتهم و على مدنيتهم ، إذا دخل
واحد فى بيت مسلم رأى العادات العريية ، البساطة و النظافة ،
و التسهيلات للوضوء ، التسهيلات للاستحمام ، التسهيلات للاستنجاء
وغير ذلك ، يأكلون بالبساطة جميعاً ، ولكننا نحن تغيرنا فى ظرف

سبعين سنة فقط هذا درس يجب أن نتلقاه ويجب أن نقارن بين
حاضرنا و ماضينا ، حاضر هذه الأمة و ماضى هذه الأمة .

لا تظنوا أن الحضارة شئ طارىء ، و أن الحضارة أداة
فقط ، إن الحضارة تكون نفسية خاصة هى من خصائص أصحاب
هذه الحضارة و رواسب تاريخهم الطويل فاذا أخذنا حضارة برمتها
و بمخافيرها ، و طبقناها علينا ، كنا عبيداً لهذه الحضارة ، و يبقى الدين
منحصرأ فى ساعات محدودة يقضيها الانسان فى مسجد ، ما نسبة
هذا الوقت الذى نقضيه فى مسجد إلى هذه الحياة التى نعيشها فى البيوت
و المنازل و فى الفنادق ؟ ، إن الفنادق التى تبنى فى بلادنا ينبغى أن
يشترط معها أن تكون مطابقة للإسلام

لا أشعر إذا دخلت فى بيت مسلم بالعناية الزائدة بالطهارة
و بالشعائر الاسلامية ، و تسهيلات لكل شئ ، ولا أشعر أنى أدخل
فى بيت أمير من أمراء الخلافة الأموية أو الخلافة العباسية ... ،
و لم تكن الخلافة الأموية و الخلافة العباسية فى مؤخر الركب ، إنما
كأنا قائدين للعالم ، وكانوا على القمة من الحضارة ... ولكنى لا أشعر
مع الأسف الشديد أنى أعيش فى عهد الأمويين و عهد العباسيين ،
و لا أقول الخلافة الراشدة فان الخلافة الراشدة ، أسمى من

ذلك . . و لكن على الأقل ، لا أشعر بأننى فى بغداد ، وإنما فى
البصرة والكوفة ، بل أشعر بأننى فى بلد أوربى غربى .

إتانا نستلهم ونستوحى من سورة الاسراء و المعراج ، و من
قصة الاسراء و المعراج ، أن هذه الأمة يجب أن تكون شامة بين
الأمم ، أن تكون ذات شخصية ممتازة مميّزة ، ذات شخصية قيادية ،
نحن الأساتذة و الشعوب كلها تابعة ... أقول لكم بصراحة إن المسلم
إذا لم يعتقد أنه هو الموجه للعالم ، فإنه لم يفهم الاسلام فهماً صحيحاً ...
جزى الله الشاعر الاسلامى العالمى الدكتور محمد إقبال ، كان هناك
خلاف فى صحة حديث ، « لولاك لما خلقت الأفلاك » ، ولكن
الدكتور محمد إقبال يثبت أن أى مسلم إذا لم يعتقد إنه ينطبق عليه
هذا الحديث إنما خلقت الأفلاك له وإنما خلقت الأرض له ، فإنه
مقصر فى أمره ، يجب على كل مسلم أن يعرف أنه القطب الذى يدور
حوله الرضى رضى المدينة و رضى البشرية ، و رضى العلوم ، هو بمكان
القيادة و الزعامة ، ليس مركزنا مركز المقتبسين فقط ... لقول الحديث
الشريف : « الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها فهو أحق بها »
ولكن كما يقول الأمير شكيب أرسلان فى تعبيره البليغ : « من
استرق شيئاً وقد استرقه فقد استحقه . » فإذا كنا مقتبسين فيجب
علينا أن نكون مسترقين حتى نكون مستحقين ، من استرق شيئاً أى

جعلته خاضعاً لنفسه و أخضعه لقومات حياته ، أخضعه لشخصيته
وكيفه من حيث انه مسلم فليس يسارق ... بل هو سارق .
أصبنا نحن الأمة الإسلامية و المسلمين بمركب النقص ، إن
المسيحيين يغارون على شعاراتهم ، ولكن نحن المسلمين لا نغار على
شعاراتنا ، يجب أن تكون الفنادق في البلد العربي الاسلامى خاضعة
لحضارة هذه البيئة ، ولتاريخ هذه البيئة ولعقائد هذه البيئة .

يجب أن نصوصغ الحضارة من جديد ، نصوصها صياغة إسلامية
جديدة تختلف عن الحضارات الأخرى ، هذا يحتاج إلى الاستقلال
الفكرى ، والاستقلال التخطيطى والاستقلال الشخصى ، ولكننا نحن
فقدنا الاستقلال ، الاستقلال العقلى ، والاستقلال الفكرى ، والاستقلال
الحضارى ، كثير من البلاد قد تحررت من الاستعمار الأوروبى
سياسيا وإدارياً ، و لكن ما تحررت عقلياً و ثقافياً ، و لا يزال
الغرب جاثماً على رؤوسنا متغلغلا فى صدورنا ، يبيض ويفرخ ،
يجب أن نتحرر منه كلياً و نكون أمة حرة بكل معانى الكلمة .

فهرس المحتويات

صفحة	مكان المحاضرة	عنوان المحاضرة
٣		بين يدي الكتاب تقديم بقلم الأستاذ واضح رشيد الندوي شلال الايمان و الاخلاص ، و كيف يستفاد منه
١٥	جامعة صنعاء	المسلمون في رباط دائم
٣١	جامع المظفر تعز	معجزة الاسلام الخالدة
٤١	معهد النور في الحديدة	مصدر قوة المسلم
٥٣	لواء المدرعات بصنعاء	درس من قوم سبأ
٦٧	جامع المشهد بصنعاء	من معاني الاسراء و المعراج
٨٣	مسجد سيدنا عمر بن الخطاب بالزرقاء في عمان	الشخصية الاسلامية و وجوب المحافظة عليها
٩٣	جامعة اليرموك باربد (الأردن)	